

مقدمة:

شهد الوطن العربي في مطلع القرن الحادي والعشرين عودة الاستعمار الغربي إليه مجدداً، عبر إقامة القواعد العسكرية في بعض أقطاره، وغزو العراق واحتلال أراضيه عام 2003، ومحاولة غزو لبنان عام 2006، وللذابح المتواصلة في فلسطين على يد الصهاينة بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية، ومحاولات استهداف سوريا موقفاً وموعاً ودوراً، مع ما يعانيه الوطن العربي من آثار سلبية للعزلة بأشكالها المختلفة تستدعي بالضرورة تعزيز الهوية الوطنية وجوهرها العروبة؛ لتكون راسخة في أذهان الأجيال.

وصحّيَّ أنَّ عجز العرب حكاماً وشعوباً عن تحقيق وحدتهم القومية، وتراجع المدن القومي العربي منذ حرب حزيران 1967، وحالة التردِّي والتفكُّك في التضامن العربي قد شجع عديداً من الكتاب والمفكرين العرب على التشكيك في الهوية القومية العربية؛ فضلاً عن انتشار دعوات الاستسلام، وبث اليأس في النفوس، إلا أن ظهور هذا التيار الفكري المعادي لمشروع النهوض العربي، يفرض علينا التصدي له من جهة، وإعادة النظر في مشروع النهضة العربية بروح نقدية وترسيخ وحدة الهوية القومية لأمتنا من جهة أخرى. لأننا بذلك نحافظ على سلامة التراب الوطني لكل قطر عربي، ونقى الوطن العربي من أنحطاط الغزو الأجنبي والتفتت الداخلي. فالكيفية التي تحدد بها هويتنا تمارس دوراً أساسياً في النضال ضد الأخطار والتحديات التي نواجهها.

أولاً - تعريف الهوية وعناصرها:

تقال الهوية بالترادف للمعنى الذي يطلق على اسم الموجود، وهي عند أرسطو تمثل الشيء مع ذاته، فألف هي ألف وليس لا ألف.

والهوية عند ابن رشد مشتقة من الهو، كما تُشتق الإنسانية من الإنسان، وفيها يقول ابن خلدون لكل شيء طبيعة تخصه، وعلى هذا انتفاء خصوصية الشيء هو انتفاء

لوجوده. وتعرفها الموسوعة الفلسفية العربية بأنها مصطلح فلسطي يدل على ما به يكون الشيء نفسه⁽¹⁾.

وفي معجم أكسفورد: يتميز كل منا، منذ ولادته عن الآخرين بصورته الشخصية (المزايا الجينية والجسدية التي نرثها عن أبوينا وأجدادنا). فبسمات أصابعنا مثلًا تمثل جزءاً ثابتاً من هويتنا الشخصية، وحتى اسم عائلتنا الذي نرثه، أو الاسم الذي يعطى لنا، يعد جزءاً من الأجزاء المكملة لهويتنا الشخصية⁽²⁾.

إذاً الهوية ليست فردية فقط، فالسؤال "من أنا؟"، يرتبط بشكل عميق مع السؤال "من نحن"، ونحن كأبناء وطن يرتبط بعضاً بعضنا البعض من خلال اللغة، والتاريخ المشترك، والمصلحة المشتركة، والثقافة، والحقوق والواجبات.... وهذا الترابط يجعل الفرد مشابهاً لأبناء وطنه في الشعور والمصلحة.. إلخ. وهو ما يعبر عنه بالهوية الوطنية التي يتم التعبير عنها بواسطة الرموز، مثل: الشعار والعلم والنشيد الوطني... وفي هذا السياق نشير إلى أن الشعب العربي في سوريا لديه ارتباط وثيق بين مفهوم الوطنية والهوية القومية، إلى درجة تيزت بتمسك الشعب بالعروبة كمرجعية وكقيمة إنسانية.

نستنتج أن : الهوية الوطنية في كل أمة هي الخصائص والسمات التي تميز بها، وتترجم روح الانتماء لدى أبنائها، ولها أهميتها في رفع شأن هذه الأمة وتقديمها وازدهارها، وبذوها تفقد الأمة كل معاني وجودها واستقرارها؛ بل يستوي وجودها من عدمه.

إذاً تعبّر الهوية الوطنية عن مجموعة السمات والخصائص المشتركة التي تميز شعراً أو مجتمعاً أو وطناً معيناً عن غيره، يعتز بها مواطنه وتشكل جوهر شخصية المجتمع المتميزة. وهناك عناصر تشكل الهوية الوطنية، وتكونها، وقد يختلف بعضها من أمة لأخرى.

⁽¹⁾ من زيادة، تعريف الهوية في الموسوعة الفلسفية العربية، بيروت معهد الإنماء العربي ج 10، ص 821.

⁽²⁾ منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (تراث العالم بين أيدي شابة)، منشورات اليونسكو، مكتب عمان.

النسخة العربية المحدثة الحالية 2009، ص 86.

١- عناصر الهوية القومية:

يجمع الباحثون حول فكرة أنه لا وجود لأمة دون هوية، ولكنهم اختلفوا في الشكل الذي يحدد الهوية(عناصر الهوية)، وبووجه العموم فإن مكونات الهوية تنسج وجودها عبر شبكة من العلائق التي تدرج في جوامع واضحة. وبالنسبة للهوية العربية هذه الجوامع هي:

أ - **الوطن العربي**: تبلغ مساحته ١٤ مليون كم مربع تتد من الخليج العربي شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن جبال طوروس شمالاً حتى الصحراء الكبرى جنوباً.

ب - **اللغة العربية**: إنما العلاقة التي تربط بين أفراد الأمة والأداة الأساسية التي يتفاهم بها الإنسان مع أبناء وطنه وأمته. هي أداة التواصل وآلية التفكير عند الفرد، كما أنها الوسيلة المضمنة للاطلاع المباشر على تراث الأمة الثقافي والحضاري.

ج - **الشعب العربي**: هو حصيلة تطور المجموعات البشرية جميعها التي سكنت الوطن العربي، وأسهمت في بناء حضارته.

د - **الثقافة العربية**: تمثل تلك الصور الذهنية التي تتعكس غالباً على سلوك الأفراد في المجتمعات الحديثة. ولكل مجتمع ثقافته الخاصة التي تكونت لديه من العادات والتقاليد والتراث الشعبي والمعارف التجريبية التي استقرت في وجدان المجتمع، وأصبحت الأجيال السابقة تسلمها بكل دقة وأمانة للأجيال اللاحقة. باختصار: هي مجموع الإنجازات الفكرية والمادية التي قدمها العرب خلال مسيرة تطورهم التاريخية.

ه - **التاريخ الوطني المشترك**: يعد عنصراً أساسياً في تكوين الهوية ومرتكزاً لقوتها، ويمثل تلك الأحداث التي عاشها الأجداد والآباء بصفتهم الجماعية على أرض الوطن.

٢- عناصر الهوية الوطنية:

للشعب العربي في كل قطر من الأقطار العربية هوية وطنية، من أهم عناصرها:

- أـ العروبة جوهرها، وعناصر الهوية القومية المذكورة مستنداً لها الأساسية.
- بـ الاقتصاد: ويتجسد برباط اقتصادي واحد، ونظام مالي واحد، كنظام العملات الموحد، ونظام التسعيرة الموحد لبعض السلع الاستهلاكية.
- جـ العلم الواحد: وهو الرمز المعنوي الذي يجمع أبناء الشعب الواحد كله والقضية الواحدة، وهو شيء مادي ملموس، له رسم وشكل محدد بألوان محددة، ولكنه يرمز إلى قيمة معنوية، وهي الهوية الوطنية والانتماء للوطن.
- دـ الحقوق المشتركة: حيث يتمتع أبناء الهوية الوطنية الواحدة بالحقوق ذاتها، كحق التعليم، حق التعبير عن الرأي، حق الحياة بكل رموزه وعزة على أرضهم، وحق الملكية، حق البناء فوق أرضهم، وحق العمل، وغير ذلك من الحقوق التي تجسّد معاني الهوية الوطنية.
- هـ الواجبات: وهي الواجبات الفردية، والجماعية التي يتّبعها الجميع الوطني القيام بها، إما بصفة الفردية، كالأفراد كل في مجال عمله وشخصه ونشاطه، وإما بصفتهم الجماعية، وذلك كما يتعين على المؤسسات القيام بها نحو مواطنيها، وفق آليات محددة، كمؤسسات التربية والتعليم، ومؤسسات الصحة والبيئة، والاقتصاد، والبني التحتية، والسلطة الحاكمة بمؤسساتها التشريعية والتنفيذية كلها، وغير ذلك من مسميات وطنية تحمل روح العمل الجماعي لخدمة الوطن والمواطن. فهذه كلها بعملها والالتزام بها على حبر وجه تعبّر عن الهوية الوطنية⁽¹⁾.

وتمثل "الهوية الوطنية" في سوريا تحدياً مركباً؛ نظراً لكثرة العناصر المكونة للمجتمع السوري، واختلافها وتقايرها؛ فضلاً عن تداعيات الحرب الإرهابية على سوريا منذ عام 2011، فقد استطاعت قوى خارجية التسلل إلى عديد من دول المنطقة عبر "بوابة

⁽¹⁾ عبد الله الجيدل، عيسى شاس، جهينا طراف، التربية المدنية، منشورات جامعة دمشق، 2009، ص 227.

الهويات الفرعية الصغرى" لترتعز الهوية الوطنية، وتدفع بالاختلاف إلى الخلاف بهدف تفكك وحدة المجتمع وهوئته الوطنية.

وحاول الكثيرون منذ بداية الحرب على سوريا استخدام موضوع الهويات والانتقال منه إلى الحديث المذهبى والإثنى الأضيق والهدم، فلم تهدف عموماً المقاربات التي عدت الأزمة السورية "أزمة هوية" إلى الوصول إلى هوية سورية وطنية جامعية؛ بل إلى تأجيج الخلاف وتوسيع الهوة لتحقيق أهداف ومصالح سياسية تتعارض بالطبع مع مصالح سورية، الدولة والشعب.

وتكرس للهوية معنى عبر التاريخ من خلال تفاعل مكوناتها، ومع ذلك لا بد من تعزيز تلك العناصر باستمرار؛ وفق مقتضيات المصلحة القومية ومتطلبات العصر، فمقدار ما تستوعب مفاهيم الحياة الحديثة (مجتمع مدنى، مواطنة،...) بمقدار ما تمتلك القدرة على التجدد والفاعلية والحيوية؛ لأن الهوية ليست معطى خلائياً، بل هي عرضة للمراجعة والنقد والتقويم، لتصبح أكثر فاعلية في توحيد المجتمع والدولة؛ أي إنها ظاهرة قابلة للبناء والتطوير بحسب ما تقتضيه المرحلة التاريخية التي نعيشها.

إن للوعي بالهوية الوطنية والالتزام بها آثاراً عظيمةً، ولا سيما عندما يقوم الكل الوطني بواجبهاته خير قيام، فشرفات ذلك أكثر من أن تحصى، تمثل قوة في التسريع الاجتماعي، تعجز عن اختراقه مكائد الطامعين وأهواء الفاسدين، ونخضة في العلم والمعرفة في المجالات شتى، وحدّاً من الأمراض، وقوة في الاقتصاد، واستغلالاً جيداً للعقل المبدعة، وتطوراً دائماً وبناء للوطن، ولهاجاً بركتب الحضارة؛ بل ريادة في مصاف الأمم، وهيبة الوطن والمواطن.

ثانياً - مفهوم المواطنة، والانتماء الوطني:

قضية المواطنة مطروحة في الوعي العربي من حيث حدُّها الأقصى – الأمة، وحدُّها الأدنى الدولة القطرية.. وتم مقاربة مفهوم المواطنة في الواقع العربي من حيث إشكالية الانتماء إلى الأمة من ناحية، والولاء للدولة القطرية من ناحية أخرى، وبما أن العروبة لم

تناقض يوماً مع مفاهيم الدولة الوطنية، سنتناول مفهوم المواطنية بغية إبراز أهميته في مواجهة الخطر الذي يهدد الدولة القططية سواء بالتفتت (القبلي، الإثني، الطائفي،...)، أو بتغيير مهام الدولة، وأثره في المواطننة والديمقراطية. ويلزم هنا التأكيد على أن إعطاء الدولة القططية مضمونها الوطني الاستقلالي الحقيقي يجعل منها عنصراً مهماً في التوجه نحو المشروع القومي العربي.

1- مفهوم المواطننة:

المواطننة في اللغة: مأخذة من الوطن، وهو المنزل الذي يقيم فيه الإنسان، ويقال وطن بالمكان وأوطن به أي أقام، وأوطنه اتخذه وطنا⁽¹⁾.

المواطننة اصطلاحاً: قبل البدء بتعريف مفهوم المواطننة، لابد من إيضاح بعض المصطلحات ذات العلاقة بالمفهوم، أهلهما: الوطن والمواطن: فالوطن (الدولة) هو تعبير يشير إلى الانتماء القانوني والسياسي والثقافي والعاطفي لإقليم جغرافي محدد ومعين على أساس شروط ومواصفات ومعالم تميزه عن الأوطان الأخرى بخصائص طبيعية أو مكتسبة وبفعل عوامل عديدة تدخل في صياغات هذا الوطن أو ذاك.

والمواطن هو أحد أفراد المجتمع، وله الحقوق والواجبات التي تقرها الدولة. وبناءً على هذا المعنى يمكن تعريف المواطننة على أنها: "الانتماء إلى بلد ما، وإلى شعب يقطن هذا البلد"؛ أي إنها تمثل العلاقة القانونية القائمة بين الوطن والمواطن.

وفي قاموس علم الاجتماع تم تعريف المواطننة: بأنها مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي "دولة" ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول "الموطن" الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق أنظمة الحكم القائمة. ومن منظور نفسي: فالمواطننة هي الشعور بالانتماء والولاء للوطن

⁽¹⁾ ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، 2000، المجلد 13، ج 6، ص 916.

ولمؤسسات الدولة التي هي مصدر الإشباع للحاجات الأساسية وحماية الذات من الأخطار المصيرية، وبذلك فالمواطنة تشير إلى العلاقة مع الأرض والبلد⁽¹⁾.

نخلص إلى أن هذا المفهوم يستخدم للتعبير عن العلاقة بين المواطن والدولة، باعتبار أن الدولة تقوم على مواطنين متساوين في الحقوق والواجبات، وعليه تكون المواطنة الانتماء للوطن.

والمواطنة صفة شخص ينتمي إلى وطن معين، يحمل جنسيته، ويتحده مكاناً (موطناً) يقيم فيه، ويستند هذا المفهوم إلى عدد من المبادئ، أهمها: سيادة الشعب، والمساواة أمام القانون، وتكافؤ الفرص، والمشاركة في الحياة العامة.

2- مضمون المواطنة:

أ- المواطنة ترتبط بالوطن، وهذا يعني أنه كلما كان التمسك بالوطن والانتماء إليه قوياً، فإن المواطنة تتجلّى بأبهى صورها.

ب- المواطنة تجمع بين المتنمرين إلى البلد نفسه؛ ثُبُّني يوماً بعد يوم، وذلك لأنّ المواطنة لا توجد بالطبع أو السليقة، وليس قدرًا اعتباطياً، ولا تمنع من مصدر خارجي؛ بل تُكتسب اكتساباً شأنها شأن القيم الأخرى.

ج- المواطنة تمثل الجنسية المشتركة بين المواطنين أيًّا كانت الطريقة التي أكتسبتهم هذه الجنسية (حق الدم / حق الأرض / حق الزواج / حق التجنّيس)، وهي دلالة الانتماء إلى جماعة، وبذلك تكون المواطنة تعبيراً عن هوية مشتركة من حيث الجنسية التي تعد العنصر الأساسي في تعين الهوية المشتركة بين المواطنين.

د- المواطنة لا ترتبط بقائد أو حاكم أو بسلطة معينة؛ وإنما ترتبط بوطن؛ أي إنما ترتبط بالأرض التي تعطي المواطن المتنمي إليها حق الإقامة والرعاية والحرية والتعليم....).

(1) محمد عاطف، غيث، قاموس علم الاجتماع، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ط1، 1995، ص56.

هـ- جوهر المواطنة هو مشاركة المواطنين المتكاففة في الأمور العامة والخاصة بطريقة فاعلة ومسؤولة.

وـ- تنطوي طبيعة المواطنة على مجموعة من المفاهيم المتلازمة والمتناسبة فيما بينها، وهي توجّه سلوك الفرد/ المواطن، وتحدد تصرفاته في ميدان العمل الوطني، ومن هنا جاء مصطلح المواطن الصالحة.

واسترر مفهوم المواطن في الفكر السياسي المعاصر في كونه مفهوماً تاريخياً شاملاً ومعقداً، وله أبعاد متعددة منها ما هو مادي/ قانوني، ومنها ما هو ثقافي/ سلوكي، ومنها ما هو وسيلة أو غاية يمكن بلوغها تدريجياً بتعاون أفراد المجتمع.

وعليه، فإن لمفهوم المواطن أبعاداً متعددة تتكمّل وتترابط في تناسق تام، وهي:

• **بعد قانوني:** يسهم في تنظيم العلاقة بين الحكماء والحكومين؛ استناداً إلى العقد الاجتماعي (الدستور) الذي تقوم عليه العلاقة بينهما للموازنة بين مصالح الفرد ومتطلبات المجتمع.

• **بعد اقتصادي اجتماعي:** يستهدف إشباع الحاجات المادية الأساسية للبشر، وتوفير الحد الأدنى اللازم منها لحفظ كرامتهم وإنسانيتهم.

إن نقطة تحديد الفرد بالمواطن هي الانتماء لمجموعة من الأفراد (المواطنين) في رقة جغرافية محددة معترف بها داخلياً وخارجياً، والانتماء محاولة لتشكيل الهوية ومن ثم الولاء؛ تبعاً لفهم تلك الهوية وكينونتها.

• **بعد ثقافي حضاري:** يهتم بالجوانب الروحية والنفسية والمعنوية للأفراد والجماعات على أساس احترام خصوصية الهوية الثقافية، ويرفض محاولات الاستيعاب والتهميش والتغريب، وإن ممارسة مبدأ المواطن على أرض الواقع مرتبطة إلى حد بعيد بالمنظومة الثقافية السائدة داخل المجتمع.

• بعد سياسي: تبدو المواطننة اليوم أقرب إلى نمط سلوكى مدنى، وإلى مشاركة نشطة و يومية في حياة المجتمع أكثر مما هي وضع قانوني مرتبط بمنح الجنسية، فالمواطن الصالح مشارك في الحياة العامة بكل تفاصيلها.

• بعد عاطفى: يتجلى من خلال شعور المواطن بحب وطنه، وأبناء وطنه وهو ما يدفعه للدفاع عنه والتضحية في سبيله.

3- مكونات المواطننة:

للمواطننة مكونات وأبعاد أساسية، هي:

أ- الانتماء: هو شعور داخلي يجعل المواطن يعمل بحماس وإخلاص للارتقاء بوطنه والدفاع عنه، ومن مظاهره:

- التضحية من أجل الوطن.

- القيام بالأعمال التطوعية.

- القيام بالواجب على أكمل وجه.

- احترام الوحدة الوطنية.

ب- المساواة: وهي حالة تماثل بين أفراد في المجتمع في القانون وأمام القانون (بصرف النظر عن الطبقة الاجتماعية أو الجنس أو اللون أو المعتقد).

ج- الحقوق والواجبات: إن مفهوم المواطننة يتضمن حقوقاً يتمتع بها المواطنون جمِيعاً، (وهي في الوقت نفسه واجبات على الدولة والمجتمع) ، منها:

- توفير التعليم، وتوفير الخدمات الأساسية، وتشمل: (السكن النظيف، والخدمات الصحية، والتأمين والضمان الصحي، والأمن الاجتماعي، والبيئة النظيفة).

- توفير الحياة الكريمة وضمان العدل والمساواة ونكافحة الفرق.

- الحرية الشخصية، وتشمل: (حرية التملك، وحرية العمل، وحرية الاعتقاد، وحرية التعبير عن الرأي).

- حق الحصول على الجنسية.
- حق التقاضي.
- حق أو حرية التنقل والسفر.
- حرية الإنسان وكرامته.
- حق المشاركة في اتخاذ القرارات المصيرية.

أما واجبات المواطن: فتتضمن مجموعة من الأعمال التي يجب أن يؤديها الفرد تجاه وطنه مقابل ما يأخذه من حقوق، ومن أبرزها:

احترام النظام، والدفاع عن الوطن، والحفاظ على الممتلكات العامة والخاصة، والإخلاص والدقة في أداء الأعمال الحكومية والمجتمعية التي تهدف لخدمة أفراد المجتمع، والمشاركة مع أفراد المجتمع في تنمية الوطن وتقدمه.

د- احترام القيم العامة: وتعني مراعاة الفرد للقيم السائدة في مجتمعه. وينبغي أن يتحلى بالصفات التي يطلبها التعامل الإيجابي مع أبناء الوطن، ومنها: الأمانة والصدق، والإخلاص في العمل، والتعاون والتلاطف بدلاً من التنافس السلبي والأنانية، وتتوحد هذه المكونات في المشاركة المجتمعية التي تجسد الجوهر الحقيقي للمواطنة.

■ عناصر المواطنة:

1. الفرد.

2. الوطن.

3. الرابطة المعنوية.

■ أسس المواطنة:

1. وجود بنية تشريعية سليمة.

2. وجود تجانس اجتماعي (وحدة وطنية) يكون بعيداً عن الطائفية وغيرها من العوامل الفئوية.

3. وجود أهداف مشتركة يسعى الجميع لتحقيقها.

■ أهداف المواطنة:

1. حماية الوطن وتعزيز تقدمه.
2. تحقيق المساواة التامة بين الجميع في الواجبات والحقوق.
3. تعزيز قيم الولاء والانتماء.
4. مشاركة الجميع في القرار الوطني باعتبار أن المواطن شريك أساسي وفاعل في صنع القرارات المتعلقة بحياته ومجتمعه.
5. تقوية المناعة في الأزمات.

ومهما اختلفت المعاني حول مفهوم المواطنة يبقى هناك مبدأً أساسياً لمعنى المواطنة، وهو الانتماء؛ وبالتالي تشكل المواطنة أساس الانتماء ومنبع الوطنية أو هي انتماء إلى تراب تحدُّه حدود جغرافية، وكل من يعيش على ذلك التراب من مواطنين، مثلما عليهم واجبات لهم حقوق، وهذا يتطلب انصهار المواطنين جميعاً بكل أديانهم ومذاهبهم ومللهم وجنورهم العرقية في تلك الحدود الجغرافية المعلومة والمشتراكه لهم، ومن ثم تنازلهم عن أي خصوصية لهم تتعارض مع هذا المفهوم. وإن حقوق المواطنين تصبح من مسؤولية الدولة والحكومة، والتي تكون وظيفتها الرئيسة تأمين تلك الحقوق.

4- الانتماء للوطن:

يعد مفهوم الانتماء من المفاهيم المهمة في العالم المعاصر، وقد تحول إلى مفهوم مستخدم في الندوات والمحاضرات وغير وسائل الإعلام المختلفة، وأصبح مفهوماً رئيساً في حياة الأفراد اليومية العامة.

تعريف مفهوم الانتماء للوطن أو الانتماء الوطني: عُرف مفهوم الانتماء لغة بمعنى الانتساب، حيث إن هذا المفهوم يتجسد في انتماء الطفل لوالده واعتزازه به. وعرف بعضهم الانتماء اصطلاحاً على أنه الانتساب الحقيقي للوطن فكراً ووجداناً، واعتزاز الأفراد بهذا الانتماء عن طريق الالتزام والثبات على المناهج والتفاعل مع احتياجات

الوطن. وتجلى هذه التفاعلات من خلال بروز الاعتزاز بالوطن والحبة العميقة له والتي تتجسد عن طريق الانغماس في حمایته والتضحية لأجله.

والانتماء للوطن مفهوم طبيعي حيث ارتبط الإنسان منذ الأزل بالمكان والزمان، الارتباط بالمكان من خلال وجود ذاته وجسده فيه، والزمن يحدد مدى هذا الوجود وكيميته، وهذا فإنه يطلق على هذا المكان اسم وطن. والانتماء المكاني يسمى الانتماء الوطني، وبعد مفهوم الانتماء للوطن من المفاهيم المتوارثة التي تولد مع الإنسان، وذلك عن طريق الارتباط بوالديه وذويه والأرض التي ولد عليها. وهذا الشكل الطبيعي للانتماء للمكانأخذ مع التطور أبعاداً مكتسبة عبر فاعلية المؤسسات المجتمعية كالمدارس والجامعات ودور العبادة والإعلام والأسرة.

ويجب أن يظهر هذا الانتماء في الأفعال والمواقف والأعمال المختلفة التي تهدف إلى حماية هذا الوطن ورفعه وتقدمه، وتجسد تلك المواقف في العديد من السلوكيات المختلفة الصادرة من الأفراد بحيث تعبّر عن موقف الفرد ورؤيته تجاه ما يحدث على أرض وطنه ومجتمعه.

يبينما يعرّف الولاء بأنه صدق الانتماء⁽¹⁾ وهو لا يولد مع الإنسان؛ وإنما يكتسبه من خلال مجتمعه وتنشئته، ولذلك فهو يخضع لعملية التعلم، فالفرد يكتسب الولاء (الوطني) من بيته أولاً ثم من مدرسته ومجتمعه بأكمله. وبعد الانتماء من الاحتياجات المهمة التي تشعر الفرد بالرابط المشترك الذي يربطه بأرضه وبأبناء وطنه. وسيؤدي هذا الشعور إلى صقل توجهاته بحيث تتحول إلى توجهات تهدف إلى خدمة الوطن والمجتمع والتضامن والتضحية من أجله، والمشاركة في إعماره . وهذا سيجعل الفرد أكثر شعوراً بقيمة الحياة التي ستنمو مع الأيام والسنين. ومن القيم المهمة للانتماء للوطن التي يجب العمل بها وعدم التغاضي عنها إبراز قيمة الوحدة الوطنية، وتحويلها لهدف يعمل الجميع على

⁽¹⁾ عبد الله الجيدل وآخرون، مرجع سابق، ص 235.

تحقيقها على أرض الواقع والمحافظة على استمراريتها. فالوحدة الوطنية تعد من المسلمات في كل الأوطان والتي من شأنها العمل على تقوية المجتمعات والمحافظة على أنها ورثائها.

ثالثاً - قيم المواطنة، حقوقها وواجباتها:

ورد في الموسوعة السياسية أن المواطنة هي: "صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق، ويلزم الواجبات التي يفرضها عليه انتمامه إلى الوطن". وتعددت الرؤى حول مفهوم المواطنة، فمنهم من رأى أنها المساواة في الحقوق والواجبات بين أبناء الوطن الواحد، ومنهم من رأى حقه المشروع في إدارة شؤون الدولة والمشاركة السياسية وحق تقرير المصير، وما لا يختلف عليه إثنان أن **المواطنة هي** جملة من القيم المعيارية تمثل حق الإنسان في الحياة الآمنة الكريمة، وفي العدالة والمساواة في الحقوق الاجتماعية لكل فرد في المجتمع، بصرف النظر عن جنسه أو دينه أو مذهبها، وكذا حقه في التعبير عن رأيه وانتخاب من يمثله على قمة السلطة السياسية في وطنه.

وهذا يعني أن للمواطن حقوقاً مختلفة تمثل في المجال المدني والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والفكري وغيرها. ويمكن القول: إن حقوق الإنسان هي حقوق مواطنة، بينما حقوق المواطنة ليست حقوق إنسان عامة؛ لأنها تتعلق بإنسان بعينه وهو الذي يحمل جنسية البلد المتواجد فيه. وحقوق المواطنة تختلف من بلد لآخر، بينما حقوق الإنسان حقوق عامة مستحقة داخل التراب الوطني وخارجه.

يحتاج ترسیخ قيم المواطنة إلى وجود بنية دستورية وقانونية تكفل تلك الحقوق والحرفيات، وهذا ما تضمنه دستور الجمهورية العربية السورية في المواد (48/44/42/41/40/39/38/37/36/35/33/29/28/26/25) ، وهذه الحقوق كما يأتي:

تعد القضية الفلسطينية من أهم القضايا الدولية المعاصرة وأبرزها، وأكثرها تعقيداً وتشابكاً؛ نتيجة لتدخل عوامل عديدة، منها ما هو موضوعي، ومنها ما هو محلي ودولي. وما جعل القضية الفلسطينية منذ نشأتها في غاية التعقيد هو المشروع الصهيوني الذي لم يستهدف فلسطين وحسب؛ بل استهدف الأرض العربية تاريخياً وهوية ومقدسات، وزاد على ذلك كله ما يملكه العرب من ثروات وخيرات، وفي مقدمتها المياه والنفط، وترجع خطورة هذا المشروع إلى كونه ترافق وتوافق مع المشروع الأوروبي الغربي الاستعماري في مطلع القرن الماضي وخططاته بتقسيم الوطن العربي وحرمانه من عوامل التوحيد؛ لأن في وحدته إفشال للمخططات الغربية الاستعمارية والصهيونية جميعها.

يتميز الصراع العربي - الصهيوني عن غيره من الصراعات بأنه يشمل الجوانب الاستراتيجية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية المختلفة وغيرها التي رافقها سعي حثيث لفرض الإيديولوجية الصهيونية المستترة بالأساطير والمزاعم الدينية المبنية على التفسير الحرفي والخلائق وقائع دينية من التلمود وغيرها من التفسيرات الدينية الحرفة التي مزجها قادة المشروع الصهيوني مع العقيدة الإيديولوجية العنصرية لهذا المشروع ومقولاتها الرئيسية.

أولاً- نشأة الصهيونية وتطورها:

قامت الحركة الصهيونية السياسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على أساس عنصري؛ مقتضاه أن اليهود يشكلون عنصراً متميزاً بجنسه وثقافته وتاريخه؛ وبالتالي فهم يكُونون شعباً له الحق في تكوين دولة، وبتجدد الصهيونية أن الحل الوحيد للمشكلة اليهودية هو خلق دولة يهودية وإضفاء الصفة القومية عليها. وقد استعمل الصهاينة في بحثهم عن مساندة اليهود فكرة العودة إلى أرض الميعاد (فلسطين) لمنح الصهيونية شحنة عاطفية؛ بغية جعلها مقبولة من اليهود جميعاً.

١- البدایات الأولى:

نشأت الحركة الصهيونية كفكرة في بدايات القرن السابع عشر في الكنيسة الأنجلיקانية البروتستانية في إنكلترا في ظل نهوض الأنظمة الاقتصادية البرجوازية والرأسمالية. ثم تبلورت مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في الوقت الذي كان العالم يشهد بشكل عام والوطن العربي بشكل خاص تنافساً استعمارياً من أجل السيطرة عليه والتحكم بمقدراته. وبشكل عام كان نشوء الحركة الصهيونية على مراحل، وقد اتخذ أشكالاً ومظاهر رئيسة عدّة، وهي بالترتيب:

أ - يعود مصطلح الصهيونية بمدلولها السياسي الحديث إلى ستينيات القرن التاسع عشر، فقد استعملها للمرة الأولى المفكر والكاتب اليهودي النمساوي الأصل نشان بيرنباوم والذي يعد من أهم رواد الحركة الصهيونية في مقالة له بعنوان "التحرر الذاتي" التي نشرت عام 1866م.

ب - ظهور الصهيونية كحركة سياسية على شكل أفكار وخطابات ومقالات وحشد الرأي العام وكسب التعاطف، وإثبات الوجود في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي على يد مجموعة من الحاخامات اليهود الصهاينة، ومنهم: موشي هس، وثيودور هيرتزل مؤسس الحركة الصهيونية بشكلها المعروف، وقام هؤلاء بعقد عدد من المؤتمرات والجمعيات للدعوة والترويج للصهيونية، ومنها: منظمة أحباء صهيون في العام 1882م، وحركة الإصلاح اليهودي التي أسّست عام 1884م وغيرها.

ج - كتاب ثيودور هيرتزل الذي أطلق عليه اسم "الدولة اليهودية" سنة 1896م، رسم فيه أدق تفاصيل الوطن القومي كالعلم والنشيد الوطني، كما شرح فيه الأساليب والطرق العملية من أجل نجاح هدف الحركة الصهيونية الرئيس وتحقيقه.

د - مؤتمر بال في سويسرا سنة 1897م وهو الذي أُعلن فيه رسميًا قيام الحركة الصهيونية على يد ثيودور هيرتزل.

هـ - وعد بلفور سنة 1917م الذي جاء في ظل ضعف الدولة العثمانية وانحيازها من قبل وزير خارجية بريطانيا آرثر جيمس بلفور في رسالٍ بعث بها إلى اللورد ليونيل والتر دي روتشيلد والتي أكد فيها مباركة الحكومة البريطانية وتأييدها على إنشاء وطن قومي لليهود الصهاينة على أرض فلسطين.

منذ اللحظات الأولى لدخول الكيان الصهيوني الغاصب إلى أرض الوطن العربي أدرك المفكرون الصهاينة بأنهم أقلية وافدة وحديثة التوأجد في هذه الأرض التي هي مهد الحضارات الإنسانية وأقدمها؛ لذا عملوا على الاستمرار بإطلاق الادعاءات والأكاذيب الدينية والتاريخية التي ليس لها أي أساس من الصحة، لتوسيع وجودهم، وكمنهج يؤمن لهم الاستمرارية والبقاء؛ لأن تعميم تلك الادعاءات بالمنظور الاستراتيجي هو الحالة أو الوضع الذي تُسخّر فيه الطاقات والإمكانات المادية والبشرية كلها؛ لخدمة فرض البقاء والسيطرة على مقدرات الخصم وإرادته بالقوة، ومن الجدير بالذكر أن هذا التوجه لنفرض وجودهم في الأرض العربية الفلسطينية هو نتاج الفكر الصهيوني منذ بدء الفكرة الصهيونية ونضجها وتحديد هدفها بإيجاد وطن قومي لليهود الصهاينة؛ مسخرةً لبلوغ هذا الهدف الادعاءات الدينية والأساطير التاريخية؛ بغية ضمان تأييد الدول الكبرى في تعليقها من جهة، وابعاث الخمية الدينية لدى اليهود من جهة أخرى، وهذه الادعاءات، هي:

● الادعاءات الدينية:

- فكرة الوعد الإلهي الذي قطعه رب للصهاينة لتتملك الأرض.
- فكرة أن الصهاينة هم شعب الله المختار.
- فكرة المسيح المنتظر.

● الادعاءات التاريخية:

- أنَّ فلسطين هي المهد الأول للعبرانيين والموطن الأصلي لليهود.

- الصلة بين "الشعب اليهودي" وفلسطين لم تقطع، وأن اليهود لم يغادروها إلا عنوة وقهرًا على أيدي الغزاة.

ف بهذه الحنكة استطاعت الحركة الصهيونية أن ترعم - ونجحت في ذلك - بأن اليهود الصهاينة يشكلون شعباً متجانساً، فهم فقط أحفاد النبي "إبراهيم" عليه السلام وذراته، وهم فقط الذين حافظوا على نقاء عنصرهم عبر سنوات الشتات الطويلة.

وما نجحت فيه أيضاً الادعاء بأن هذا الشعب قد عانى الكثير من التشرد والاضطهاد على مدار عقود، ولا بد من عودته إلى أرضه المقدسة؛ معتمداً على الوسائل البشرية من دون انتظار المسيح المنتظر؛ وبذلك توافت المجرات اليهودية المدفوعة من الصهيونية إلى أرض فلسطين، وأقاموا ما يسمى بوطنهم القومي.

ومن هنا بدأ الهدف الثاني للحركة الصهيونية وهو البحث عن قومية وهوية يهودية صهيونية في فلسطين وزعمهم بتوفير العناصر الكاملة لترسيخ قوميتهم. والصهاينة كما تؤكد الوثائق التاريخية ليس لهم أية صلة بإسرائيل ولا باليهود؛ إنما هم عبارة عن قبائل بريبرية همجية من أصل تركي-قرقاري وهذه القبائل التي سكنت المنطقة الممتدة بين بحر قزوين والأسود، اعتنقت الدين اليهودي في القرن الثامن الميلادي وبالتحديد عام 740 لأسباب سياسية وحضارية، ويطلق على هؤلاء اليهود يهود "الخزر".

لقد نشأت الحركة الصهيونية، وترعرعت وسط الدعوات القومية في القارة الأوروبية منذ القرن السابع عشر، فتأثرت بها وبأهدافها ومنطلقاتها، وحاولت محاكاتها من خلال إيجاد المقومات الالازمة لها، والربط بين الدين اليهودي والأرض الموعودة في فلسطين والشعب اليهودي و هي بدعة لا ترتكز على أية مسوغات وعوامل كغيرها من الحركات القومية التي ظهرت في أوروبا أو خارجها، وذلك للأسباب الآتية:

1) - شهدت فلسطين كغيرها من أجزاء الوطن العربي حضارات متعددة، واستقبلت هجرات بشرية متتالية، وبقيت فلسطين جزءاً من الوطن العربي لغةً وتاريخاً وثقافةً ومصيرًا

وانتفاء من دون أي انقطاع حتى قيام الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين في منتصف القرن الماضي.

2) إن اليهود الذين ينتشرون في مناطق مختلفة من العالم لا يشكلون أمة، ويفتقدون إلى المقومات الالزامية لإثبات ذلك. وتتسقط ادعاءاتهم أمام الحقائق الآتية:

- إن اليهود الذين عاشوا فترة من الزمن في فلسطين قد احتلوا بغيرهم من الشعوب التي سكنت المنطقة؛ فضلاً عن ذلك تعرضوا كما تعرض غيرهم من معارضي السلطة للشتات البابلي الذي استغرق قرابة مئة وخمسين سنة، ثم تفرقوا وتشتتوا في مناطق مختلفة من العالم، وتمازجوا مع الشعوب والأقوام التي سكناها فيما بينها.

- دلت المكتشفات الأثرية الحديثة على أن اليهود لم يختلفوا أبداً في حضارتهم على وجودهم، وأكدهت تلك المكتشفات أن فلسطين كانت عبر التاريخ القدس موضع استقطاب بين المصريين القدماء والآشوريين والبابليين والكنعانيين.

- إن القسم الأعظم من يهود اليوم لا علاقة لهم تاريخياً أو عرقياً أو حضارياً باليهود الذين عاشوا فترة من الزمن في فلسطين؛ بل هم شعب آخر ينتمي إلى عرق آخر وحضارة ومنطقة جغرافية أخرى.

استمرت جهود الصهاينة وحلفائهم من الإمبرياليين المستعمرين في الشرق والغرب وبوسائل شتى المشروع منها أو المنوع إلى أنتمكنوا من هدفهم برعاية بريطانية، وتمَّ اغتصاب أرض فلسطين نتيجة الوعد الذي أصدره وزير خارجية إنجلترا آنذاك آرثر بلفور في الثاني من تشرين الثاني 1917، وتمَّ تنفيذ الوعد برعاية بريطانية خلال فترة انتدابها على فلسطين إلى أن اكتمل بناء المهدف، وأعلن عن قيام الكيان الصهيوني سنة 1948 بعد تحرير سكان الأرض الأصليين ومحاولات إبادتهم التي ما تزال مستمرة إلى اليوم.

2- صعود الحركة الصهيونية: أهدافها وأهم مؤتمراتها

الحركة الصهيونية: هي حركة استعمارية عنصرية عدوانية توسعية، تستند إلى مزيج من المزاعم السياسية والتاريخية والعرقية والدينية؛ بهدف تحويل الدين اليهودي إلى رابطة

سياسية دينية للعمل على تجميع اليهود المنتشرين في العالم، ومن ثم الربط بينهم وبين إنشاء الوطن القومي على "أرض الميعاد" من أجل توسيع سيطرتها على فلسطين ودفع الصهاينة للهجرة إليها؛ لتحقيق مخططاتها الاستيطانية التوسعية في فلسطين والوطن العربي بالتنسيق والتعاون مع الدول الاستعمارية الكبرى.

بقيت الحركة الصهيونية مجرد أفكارٍ متفرقةٍ، ودعوات مختلفة عَبَرَ عنها بعض المتعصبين من اليهود الصهاينة في دول مختلفة إلى أن تمكّن الصافي اليهودي الصهيوني نساوي الأصل "ثيودور هيرتل" من عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة "بال" بسويسرا بين 29-31 آب عام 1897، وحضر هذا المؤتمر / 197 / مندوباً يمثلون جماعاتٍ وهيئاتٍ صهيونية من دول مختلفة في العالم.

نتج عن هذا المؤتمر تشكيل "المنظمة الصهيونية العالمية" كوسيلة وأداة؛ لتحقيق أهداف الصهيونية. وحدد البرنامج الصادر أهداف الصهيونية في إقامة وطن للصهاينة في فلسطين يضمنه القانون العام، كما حدد الوسائل الالزمة لتحقيق هذه الأهداف بالأتي:

أ – العمل على استعمار فلسطين بالعمال الزراعيين والصناعيين اليهود الصهاينة وفق أسس مناسبة.

ب – تنظيم اليهود الصهاينة في أنحاء العالم جميعاً، وربطهم بمنظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة في كل بلد.

ج – تقوية المشاعر اليهودية والوعي القومي اليهودي وتغذيتها.

د – اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على الموافقة الدولية الضرورية لتحقيق هدف الصهيونية.

انعقد المؤتمر الصهيوني السابع في آب عام 1905 بعد وفاة هيرتل، وقد دلل هذا المؤتمر على زيادة ملحوظة في قوة الصهاينة العاملين عندما أُسقط مشروع أوغندة نهائياً، وأكَّد وجوب إقامة الدولة الصهيونية في فلسطين، وإعادة النظر في مشروع الهجرة اليهودية لتأخذ طابعاً أوسع. كما تقرر في المؤتمر إنشاء الصندوق التأسيسي اليهودي

وإنشاء دائرة خاصة لشؤون فلسطين تتبع اللجنة التنفيذية للمؤتمر الصهيوني، وتأسيس مكتب صهيوني في يافا باسم /مكتب فلسطين/ وعدّ اللغة العربية لغة رسمية للحركة الصهيونية.

شكل هذان المؤتمران خطوة مهمة على طريق الانتقال بالنشاط الصهيوني من العمل العفواني المشتت إلى العمل المنظم الشامل وفق أهداف محددة، ووسائل واضحة. وبدأت الحركة الصهيونية بعد ذلك نشاطها العملي في الحالات السياسية والاقتصادية؛ لتأمين المركبات اللازمة لتحقيق أهدافها في إقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين.

ثانياً- الدور البريطاني في إقامة "الوطن القومي لليهود" في فلسطين:
أدّت السياسة البريطانية دوراً كبيراً في إنشاء الوطن القومي لليهود؛ بدءاً من سيطرة القوات البريطانية على فلسطين في أثناء الحرب العالمية الأولى؛ مروراً بعده بلفور، وانتهاء بالانتداب الذي هيأ الظروف الملائمة لقيام الكيان الصهيوني فيما بعد على أرض فلسطين.

1 - وعد بلفور (2 تشرين الثاني 1917):

وعد بلفور هو تسمية أطلقت على الرسالة التي أرسلها آرثر جيمس بلفور (وزير خارجية بريطانيا آنذاك) إلى اللورد ليونيل روتشيلد يشير فيها إلى تأييد الحكومة البريطانية في إنشاء وطن قومي للصهاينة في فلسطين، وأنها ستبذل قصارى جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية.

لقد تبنت إنجلترا منذ بداية القرن العشرين سياسة إيجاد كيان صهيوني سياسي في فلسطين، ليكون خاصعاً لنفوذها ودائماً في فلوكها وبمحاجة لحمايتها ورعايتها، ويكون في المستقبل بؤرة توتر للعرب ينهك قواهم، ويعرقل كل محاولة للوحدة فيما بينهم. وتوجهت بريطانيا سياستها هذه بإصدار وعد بلفور في الثاني من تشرين الثاني عام 1917، الذي أطلقه وزير خارجيتها آنذاك.

اختللت التفسيرات والدّوافع وراء هذا الوعد على الشكل الآتي:

- 1- سُوَّغه وزير الخارجية البريطاني "بلفور" بأنه صدر بدافع إنساني.
- 2- رأت فيه مصادر صهيونية مكافأة للباحث حاييم وايزمان لخدمته بريطانيا باكتشافات علمية في أثناء الحرب العالمية الأولى.
- 3- أما لويد جورج رئيس الحكومة البريطانية الذي أصدرت حكومته الوعد، فقد سوَّغ القرار في كتابه "الحقيقة حول معااهدات الصلح" بعوامل عده، منها ما يفيد بأنه كان هناك سباق مع ألمانيا حول كسب الصهاينة إلى جانبهم.
- 4- ورأت بعض الصحف البريطانية حينها في وعد بلفور إيجاداً لقاعدة صهيونية في فلسطين لحماية مصالح بريطانيا في المنطقة؛ فضلاً عن مدّ نفوذها الإمبراطوري إلى هناك. وبالتالي يمكن القول إن هذه الأسباب كلها مجتمعة كانت وراء إصدار الوعد الذي ترك له مساحة واضحة في اتفاقيات سايكس- بيكون؛ مما يدل على اتفاق الدول الاستعمارية على منح الصهيونية وطنًا قومياً في فلسطين.

فالوعد كان حاضراً في مؤتمر سان ريمو (1920) الذي منح فيه الحلفاء بريطانيا حق الانتداب على فلسطين، وكان حاضراً في عصبة الأمم التي صادقت في تموز 1922 على صك إقرار الانتداب البريطاني، فالصك كان يتضمن في مقدمته نص تصريح وعد بلفور مع تفويض بريطانيا بتنفيذ الوعد.

كما كان الوعد حاضراً في دستور فلسطين الذي أصدرته بريطانيا بعد أسبوعين من قرار انتدابها على فلسطين، حيث ضمنت مقدمته نص تصريح وعد بلفور أيضاً.

أعطى هذا كله الوعد قيمة قانونية دولية بغض النظر عن صحتها، وأصبح مرجعاً فاعلاً للاعتراضات اليهودية والصهيونية لكل ما يعتقدون أنه يخالف نص هذا الوعد أو تفسيراته.

2- دور الانتداب البريطاني في إيجاد المركبات الأساسية "للوطن القومي

لليهود":

عملت الحركة الصهيونية على استغلال الانتداب البريطاني على فلسطين لتأمين المركبات اللازمة لإقامة الوطن القومي اليهودي الذي يشمل السكان والأراضي والاقتصاد والمؤسسات الإدارية والبنية العسكرية. وكانت مهمة الانتداب البريطاني التنسيق مع الحركة الصهيونية بما يؤدي في النهاية إلى تذويب الوجود الفلسطيني، وتنمية الوجود الاستيطاني الصهيوني؛ تمهدًا لإقامة "الدولة" اليهودية، وتحسد ذلك من خلال التغييرات الجذرية التي حققتها الحركة الصهيونية في ظل الانتداب البريطاني في الحالات الآتية:

أ- السكان: بدأت الحركة الصهيونية العمل الواسع على إيجاد نسبة عالية من السكان اليهود في فلسطين تكون كافية لتسوية فكرة الوطن القومي نظرياً، وتشكل عاملًا في تحسيد الفكرة عملياً. لذلك عملت وبالتنسيق مع بريطانيا على توسيع دائرة الهجرة إلى فلسطين، وتأمين المتطلبات المادية الازمة للسكان المهاجرين وتأمين فرص عمل لهم، ومواجهة المحاولات العربية والفلسطينية الرافضة والمقاومة للهجرة اليهودية.

ب - الأراضي: ترافقت عملية اتساع الهجرة اليهودية إلى فلسطين مع عمليات واسعة ومنظمة للسيطرة على الأراضي العربية لإسكان المهاجرين وتأمين فرص عمل لهم. إن عملية السيطرة على الأراضي جاءت نتيجة استخدام السلطات البريطانية والحركة الصهيونية مظاهر الضغط والإرهاب ضد السكان العرب، ورافق ذلك كله إجراءات إدارية مساعدة، وعروض مالية مغرية.

ج - المؤسسات الصهيونية: بدأت الحركة الصهيونية بالتعاون والتنسيق مع السلطات البريطانية إيجاد المؤسسات الصهيونية المختلفة التي تشكل عاملًا مساعدًا في قيام الدولة اليهودية المرقبة.

د - الاقتصاد: عملت الحركة الصهيونية على إيجاد قاعدة اقتصادية واسعة وممتددة المظاهر في فلسطين؛ لتشكل الأساس والقاعدة الاقتصادية للدولة اليهودية. وبموافقة سلطات الانتداب البريطاني ودعمها استطاعت الحركة الصهيونية السيطرة على الموارد الاقتصادية الأساسية في فلسطين. فكانت السيطرة الاقتصادية عاملًا مساعدًا لتوسيع عملية الاستيطان اليهودي والضغط على المواطنين العرب الفلسطينيين.

هـ - القوة العسكرية: قدمت بريطانيا المتطلبات الازمة من خبراء وأسلحة ومساعدات مادية من أجل بناء قوة عسكرية صهيونية كبيرة لتنفيذ المخططات الصهيونية في السيطرة على فلسطين. كما أصدرت السلطات البريطانية بالتنسيق مع الحركة الصهيونية قوانين عدة تستهدف تضييق الخناق على العرب، وإعطاء غطاء قانوني لتصريح السلطات المنتدبة والحركة الصهيونية ضد المقاومة العربية.

ثالثاً- العلاقة العضوية بين الحركة الصهيونية والدول الاستعمارية:

عندما ظهرت الحركة الصهيونية، وبدأت تعمل من أجل تنفيذ مخططاتها في استعمار فلسطين كانت تمارس نشاطها من قلب القارة الأوروبية، ولم يكن آنذاك لليهود الصهاينة أي وجود مادي أو بشري في فلسطين التي كان حوالي 90.6 % من سكانها هم من العرب الفلسطينيين، وكانوا يملكون 99.5 % من مجموع الأراضي، وعاشوا في فلسطين على امتداد المراحل التاريخية السابقة، وشكلوا جزءاً من الأمة العربية.

لذا أخذت تبحث عن قوة استعمارية تولى تقديم الدعم والمساعدة لها مقابل خدمات محددة تقدمها هي في إطار تحقيق مصالح الدول الاستعمارية خاصة وأن دخول الحركة الصهيونية حيز التنفيذ العملي لخلق الوطن القومي ترافق مع اتساع السيطرة الاستعمارية في العالم، وازدياد التنافس الاستعماري للسيطرة على الوطن العربي. وعلى هذه القاعدة قام الارتباط وتبادل المصالح بين الحركة الصهيونية والدول الاستعمارية الذي تجلّى على الشكل الآتي:

- 1 - وجدت الدول الاستعمارية في المشروع الصهيوني الاستيطاني وسيلةً مناسبةً لترسيخ نفوذها وتحقيق مخططاتها، وبديلاً استراتيجياً لوجودها الدائم والماضي في الوطن العربي، وفي كامل الشرق الأوسط.
- 2 - رأت فيه الحاجز البشري الغريب الذي يحقق عملية الفصل الدائمة والمستمرة بين مشرق الوطن العربي ومغاربه، والعامل قادر على إبقاء عنصر اللقاء المستمر عبر التاريخ، والمانع الدائم والمستمر لأي فعل وحدوي محتمل القيام في أية لحظة.
- 3 - عدّته جسراً يُسهل عملية العبور إلى المنطقة عند النزوم لاحتواء مظاهر التغيير وإباء مرتكزاتها الأساسية وتطويقها والتحكم في مسارها وتحويلها لمصلحة الدول الاستعمارية ولخدمة مخططاتها.
- 4 - بينما وجدت الحركة الصهيونية في الدول الاستعمارية وخططاتها الواسعة في الوطن العربي ركيزةً أساسيةً وعاملًا مساعدًا على تفزيذ أهدافها، ومدتها بمظاهر العون اللازمة لها، وتأمين متطلبات الوجود والسيطرة، والتتوسع مادياً وبشرياً وسياسياً وعسكرياً. وبذلك تحددت مظاهر الارتباط العضوي والمصالح المتبادلة بين الدول الاستعمارية والحركة الصهيونية على النحو الآتي:
- أ - كلتاهم وليدة الأنظمة الرأسمالية الاستعمارية بأطماعها الكبيرة في الوطن العربي.
- ب - كلتاهم لها الأهداف والخططات نفسها، وهي السيطرة والتتوسع وحل المشاكل الأوروبية الاقتصادية والاجتماعية والبشرية على حساب الشعوب الأخرى خارج بلدانهم.
- ج - ترى كلتاهم في الأخرى السند القوي والعامل المساعد الذي يؤمن الوجود والاستمرارية والمصالح وتنفيذ المخططات المختلفة.
- 5 - وعبر هذه العلاقة والترابط الوثيق استطاعت الحركة الصهيونية خلال المراحل الماضية نقل ولائها ومركز عملها ونشاطها وقاعدة دعمها وتأييدها المالي والسياسي والاقتصادي والعسكري من دولة استعمارية إلى دولة أخرى.

- 6- كانت عملية الانتقال والارتباط هذه تنسجم مع:
- أ- قوة الدولة الاستعمارية سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، ليتم الانتقال وفقاً لمركز التقل الاستعماري الأقوى.
- ب - اتساع مصالح الدولة الاستعمارية ومطامعها في الوطن العربي بشكل عام، وفي فلسطين بشكل خاص.
- 7- لهذا ترك ثقل الحركة الصهيونية ونشاطها في القارة الأوروبية بشكل عام، وفي بريطانيا بشكل خاص في الربع الأول من القرن العشرين حينما أصبحت بريطانيا الدولة الاستعمارية الأقوى في العالم وصاحبة المصالح الأوسع في فلسطين والوطن العربي؛ وصولاً إلى الحرب العالمية الثانية التي انتصرت فيها دول الحلفاء، وبرزت الولايات المتحدة الأمريكية كأكبر قوة اقتصادية عالمياً.
- 8- في النصف الثاني من القرن العشرين نقلت الصهيونية مركز نشاطها إلى الولايات المتحدة الأمريكية عندما أصبحت أمريكا القوة الاستعمارية الأهم، وصاحبة المصالح الأوسع في العالم وفي الوطن العربي وفلسطين خاصة.
- 9- استطاعت الحركة الصهيونية إيجاد القاعدة الاستعمارية الداعمة والمساندة لها في تنفيذ مخططاتها أوروباً وأمريكاً.
- 10- وجدت الدول الاستعمارية في الكيان الصهيوني القاعدة الأساسية التي استطاعت من خلاله إضعاف الأمة العربية وإلحاق الهزائم بها.
- رابعاً- المقاومة العربية - الفلسطينية للمخططات الصهيونية والاستعمارية:
- 1- قبل وعد بلفور:

عندما بدأت الحركة الصهيونية تنفيذ مخططاتها في فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر كان الوطن العربي آنذاك يخضع اسمياً للسيطرة العثمانية، وكانت الدول الأوروبية قد بسطت سلطتها على بعض أجزائه، وتسعى لاستكمال سيطرتها على القسم الآخر. واستغلت

الصهيونية ضعف الدولة العثمانية ومساندة الدول الاستعمارية آنذاك، وب بدأت العمل على توجيه المهاجرين اليهود إلى فلسطين.

ومع توضّح المخططات الصهيونية – الاستعمارية تجاه فلسطين؛ بهدف إقامة الدولة اليهودية بدأ المقاومة العربية والفلسطينية ضد هذه المخططات، واتسمت هذه المقاومة بالسمات الآتية:

أ- بعد القومي العربي للمقاومة؛ لأن فلسطين جزء من الوطن العربي، وشعبها جزء من الشعب العربي.

ب - تعدد مظاهر المقاومة: اتخذت المقاومة طابعاً مركباً ضد المخططات الصهيونية والدول الداعمة لها، ضد الدول الاستعمارية التي سيطرت على الوطن العربي.

وقاد المقاومة في هذه المرحلة العديد من المثقفين العرب، أمثال: محمد رشيد رضا ونجيب عازوري، وأيضاً العديد من الجمعيات التي ظهرت في القدس وبيافا وحيفا والقاهرة وبيروت، وكانت بعض الصحف العربية منبراً لهؤلاء المقاومين مثل صحيفة الكرمل عام 1908. وتركّزت المقاومة آنذاك ضد الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وضرورة العمل على إيقاف بيع الأراضي، وإيقاف المخططات الاستيطانية الصهيونية، وإيقاف الدعم الاستعماري للحركة الصهيونية.

2- مقاومة وعد بلفور بعد صدوره وسياسة الانتداب:

أدى الإعلان عن وعد بلفور، واحتلال بريطانيا لفلسطين، واتساع المخططات العملية الهدفـة لتنفيذ المشروع الصهيوني إلى مضاعفة نضال الشعب العربي والشعب الفلسطيني، وذلك نتيجة العوامل الآتية:

أ- وجد الشعب العربي في فلسطين نفسه إزاء السلطة الاستعمارية البريطانية والحركة الصهيونية المدعومة من هذه السلطات.

ب - بدأ يتوضّح آنذاك للأمة العربية وللشعب العربي في فلسطين تكامل المخططات الاستعمارية والصهيونية الادافية إلى تجزئة الوطن العربي وإضعافه؛ تمهدًا لتنفيذ المشروع الصهيوني في فلسطين.

واحتجاجاً على وعد بلفور عمّت المظاهرات والاضطرابات في فلسطين والعديد من الدول العربية، واستمرت خلال عام 1918. وشهدت هذه الفترة انعقاد مؤتمر عربي - فلسطيني. أكد هذا المؤتمر أن فلسطين جزء لا يتجزأ من سوريا، كما أكد مبادئ الاستقلال والوحدة العربية، وأطلق هذا المؤتمر على فلسطين اسم "سوريا الجنوبية".

3- لجنة كينغ - كراين:

مع اتساع نضال الشعب العربي في فلسطين وخارجها، واستمرار رفض بريطانيا والحركة الصهيونية للمطالب العربية تم إرسال لجنة أمريكية إلى فلسطين عرفت باسم لجنة كينغ - كراين عام 1919 مهمتها الاطلاع على الأوضاع العامة في فلسطين وعلى رغبات السكان، وتقدم تقرير حول ذلك إلى مؤتمر الصلح.

وعندما سمع العرب بقدوم اللجنة عقدوا المؤتمر السوري العام، حضرته وفود من سوريا وفلسطين ولبنان، وحدّد المؤتمر المطالب الأساسية التي ستقدم لللجنة، وهي:
أ - التأكيد علىعروبة فلسطين، وعدها الجزء الجنوبي من سوريا، وإلغاء وعد بلفور.

ب - رفض الهجرة اليهودية.

ج - الاحتجاج على تجزئة الوطن العربي.

د - المطالبة بإلغاء المعاهدات السرية والوعود المختلفة التي تختلف رغبة الشعوب وتطلعاتها من أجل تقرير مصيرها.

أخذت بعد ذلك ردود الفعل الشعبية تتسع ضد بريطانيا والحركة الصهيونية؛ ففي عام 1920 شهدت فلسطين مظاهرات واضطرابات واسعة، وفي عام 1921 تطورت

هذه الحركات إلى ثورة مسلحة شملت مناطق فلسطين كلها، وفي عام 1923 عقد المؤتمر الاقتصادي العربي في مدينة القدس لوضع خطة شاملة لمواجهة الإجراءات الصهيونية البريطانية المادفة إلى نسف البنى الاقتصادية في فلسطين. وأكد المؤتمر ضرورة تعزيز المقاومة، وتوسيع القدرة الاقتصادية وتعزيزها في فلسطين.

4- ثورة البراق عام 1929:

تعد هذه الثورة استكمالاً وتطورياً لنضال الشعب العربي الفلسطيني في مواجهة المخططات البريطانية والصهيونية السابقة والجديدة التي تجسدت في استمرار الهجرة، وبناء المستوطنات، وتطوير الأجهزة والمؤسسات الصهيونية، وتدفق السلاح للمهاجرين اليهود، ومحاولة اليهود السيطرة على الأماكن المقدسة بما فيها حائط البراق والمسجد الأقصى. وشملت هذه الثورة مناطق فلسطين جميعها، وبعض الدول العربية. ولجأت بريطانيا إلى القوة لإنهاء الثورة وقمع المشاركين فيها، وشهدت هذه الثورة مشاركة واسعة للمرأة الفلسطينية؛ مما أدى إلى انعقاد أول مؤتمر نسائي – عربي في القدس 26 تشرين الأول 1929، وأكد المؤتمر دور المرأة العربية الفلسطينية في النضال بأشكاله ومظاهره كلها.

5- ثورة عز الدين القسام 1935 :

استمر نضال الشعب العربي في فلسطين رداً على موقف بريطانيا المؤيد للهجرة، وللسيطرة على الأراضي العربية، واتساع المستوطنات اليهودية. وفي تشرين الأول عام 1933 عمّت المظاهرات والإضرابات المدن الفلسطينية، شارك فيها وفد من الشباب الوطني من سوريا تعبيراً عن الوحدة القومية. وتحولت هذه المظاهرات إلى ثورة واسعة قادها عز الدين القسام عام 1935 الذي قدم إلى فلسطين عام 1921 بعد تطبيق الثورة التي شارك فيها في سوريا ضد الاستعمار الفرنسي. وشملت الثورة مناطق واسعة من فلسطين، واستخدمت بريطانيا الطائرات والأسلحة المختلفة لقمعها، وقامت بتطويق الثوار الذين استمروا في المقاومة حتى استشهدوا دفاعاً عن عروبة فلسطين، وكان في مقدمتهم عز

الدين القسام. جسّد القسام وهو يدافع عن عروبة فلسطين ووحدة المصير العربي، والبعد القومي للنضال ضد الاستعمار والصهيونية.

6- الثورة الفلسطينية الكبرى (1936 - 1939):

شكلت الثورة الفلسطينية الكبرى بين عامي 1936 - 1939 ذروة النضال العربي في فلسطين ضد المخططات الاستعمارية والصهيونية. وارتبط قيام الثورة بالازدياد الكبير للهجرة اليهودية إلى فلسطين، وبازدياد السيطرة على الأراضي الفلسطينية التي بلغت في هذه المرحلة 667 ألف دونم، وبالطرد الجماعي للعرب من أراضيهم.

وأما السبب المباشر للثورة، فهو محاولة بعض اليهود انتهاك حرمة الأماكن المقدسة. وبدأت الثورة باصطدامات بين العرب واليهود، وساندت بريطانيا العصابات الصهيونية؛ مما أدى إلى اتساع المواجهة لتأخذ صفة الثورة الشاملة في منتصف نيسان عام 1936. وحاولت بريطانيا تطويق الثورة بإعلان حالة الطوارئ العامة ومنع التجول. ورداً على ذلك شكلت الثورة لجنة قومية للإشراف على المواجهة وحددت مطالبتها بـ:

أ- منع الهجرة اليهودية منعاً باتاً.

ب- منع انتقال الأراضي العربية إلى اليهود.

ج- إقامة حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي.

د- المطالبة باستقلال فلسطين في إطار الوحدة العربية.

هـ- رفض دفع الضرائب للسلطات البريطانية.

أخذت هذه الثورة بعدها القومى بمشاركة أعداد كبيرة من المتطوعين من لبنان والعراق وسوريا والأردن بزعامة فوزي القاوقجي وسعيد العاص ومحمد الأشقر.

لأنّ بريطانيا إلى إخماد الثورة بالوسائل الآتية:

أ- استخدام القوة العسكرية البريطانية مع قوة المنظمات الصهيونية، وسقوط خلال المواجهة حوالي ألف شهيد.

ب - اللجوء إلى وساطة بعض الدول العربية لإيقاف الثورة.
ج - إرسال لجنة بريطانية برئاسة "اللورد بيل" إلى فلسطين لدراسة الأوضاع التي دفعت الشعب العربي في فلسطين إلى الثورة.

وقدمت اللجنة القومية العليا في فلسطين مطالب الشعب العربي الفلسطيني في إيقاف الهجرة، وانتقال الأراضي، وإنماء الانتداب البريطاني، وقيام حكومة دستورية مستقلة. وأكدت اللجنة قومية القضية الفلسطينية.

واقترحت اللجنة الملكية البريطانية في توصياتها التي قدمتها في السابع من تموز عام 1937 إنماء الانتداب البريطاني، وتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية.

وأدى ذلك إلى ردود فعل عربية وفلسطينية واسعة ضد توصيات اللجنة البريطانية، وبدأت الثورة في فلسطين، وانتشرت في المدن والقرى جميماً، واستخدمت بريطانيا وسائل مختلفة للقضاء عليها، مثل: القوة المسلحة بما فيها سلاح الطيران، ونفي بعض قادة الثورة إلى خارج فلسطين، وإصدار قوانين بفرض عقوبة الموت على حيازة السلاح والذخيرة، وتنفيذ حكم الإعدام في العديد من المواطنين العرب المشاركين بالثورة، ونسف البيوت وهدمها وفرض الغرامات المالية، والاعتقال التعسفي، وفرض منع التجول على مناطق واسعة. أدت هذه الثورة إلى استشهاد حوالي خمسة آلاف مواطن عربي، وجرح حوالي 15 ألفاً آخرين.

خامساً - تقسيم فلسطين عام 1947 :

استغلت الحركة الصهيونية الحرب العالمية الثانية لمواصلة تنفيذ مخططاتها في فلسطين؛ مستخدمة الوسائل السياسية والمادية والعسكرية.

حصلت الحركة الصهيونية من بريطانيا في عام 1940 على موافقتها لتشكيل القوة العسكرية الصهيونية من عشرة آلاف رجل، وبدأت نشاطاً سياسياً واسعاً استهدف كسب دعم الولايات المتحدة الأمريكية بالربط بين مخططات الحركة الصهيونية في

فلسطين ومخططات الولايات المتحدة الأمريكية في الوطن العربي، ولتمتن هذه العلاقة تم تشكيل "المجلس الأمريكي اليهودي" في عام 1941. وفي عام 1942 عقد مؤتمر صهيوني في نيويورك في فندق "بلتمور"، صدرت عنه وثيقة عرفت باسم "وثيقة بلتمور" تضمنت:

1. استمرار الهجرة اليهودية والعمل على إقامة الدولة اليهودية، وضرورة الاعتماد على الولايات المتحدة الأمريكية في تحقيق ذلك. وهكذا انضمت الولايات المتحدة الأمريكية بشكل علني إلى بريطانيا والدول الأوروبية الأخرى في تبني المخططات الصهيونية في فلسطين والعمل على تنفيذها.
2. مطالبة الحركة الصهيونية الولايات المتحدة الأمريكية بتزويدها بكميات كبيرة من السلاح وبناء مصنع للأسلحة في فلسطين، والمساعدة في تجنيد المتطوعين من اليهود في أمريكا وتقليل الدعم السياسي لمواجهة العرب.
3. تقديم مذكرة رسمية إلى بريطانيا في 22 أيار عام 1945 بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تضمنت إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين والسماح باستمرار الهجرة اليهودية.
4. إرسال أمريكا وبريطانيا لجنة خاصة مشتركة في تشرين الثاني عام 1945 إلى فلسطين لتقديم دراسة مفصلة حول القضية الفلسطينية. زارت اللجنة فلسطين في كانون الثاني عام 1946 ونشرت تقريرها في نيسان من العام نفسه، تضمن النقاط الآتية:
 - عدم تقسيم فلسطين وإبقاءها تحت الانتداب.
 - السماح باستمرار الهجرة اليهودية.
 - سن القوانين التي تسمح بملكية الأراضي على أساس حرية البيع والشراء والتأجير.
5. بدأت الحركة الصهيونية القيام بعمليات إرهابية واسعة داخل فلسطين استهدفت نشر الخوف والرعب بين السكان الفلسطينيين العرب ودفعهم لترك الأراضي العربية.

وفي إطار عمليات التعاون والتنسيق بين الحركة الصهيونية والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والدول الأوروبية الأخرى أحالت بريطانيا القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة؛ بحجة عدم مقدرتها على مواجهة تدهور الأوضاع داخل فلسطين، وأعلنت أنها ستنهي اندماجاً على فلسطين وتنسحب منها في 15 أيار عام 1948، وفي 29 تشرين الثاني عام 1947 اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً يقضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين؛ عربية ويهودية وتدوين منطقة القدس.

عندما حان موعد الانسحاب البريطاني من فلسطين كانت عمليات التعاون والتنسيق تجري بشكل واسع بين القوات البريطانية والعصابات الصهيونية، وكانت بريطانيا تقوم بتسليم الواقع التي تركها للعصابات الصهيونية، بينما كانت تمارس القوات البريطانية رقابة عسكرية صارمة في المناطق العربية لضعفها وتسهيل سيطرة العصابات الصهيونية عليها.

وبدأت الحركة الصهيونية تجمع اليهود والمرتزقة الذين يتلذتون بخبرات عسكرية من أنحاء العالم المختلفة ، وترسلهم إلى فلسطين لتدعم العصابات الصهيونية. تبع ذلك بدء عملية إرهاب صهيونية منظمة ضد السكان العرب الفلسطينيين؛ بهدف دفعهم إلى ترك المناطق التي يسكنون فيها، ونفذوا آنذاك مجزرة دير ياسين في نيسان عام 1948، وهاجموا العديد من القرى العربية. وبحلول موعد الانسحاب البريطاني كان حوالي 400 ألف عربي فلسطيني قد طردوا من بيوتهم.

وفي 14 أيار 1948 وقبل بضع ساعات من بدء الانسحاب البريطاني تم الإعلان رسمياً عن قيام إسرائيل. وفي اليوم التالي بدأت القوات البريطانية بالانسحاب، ولم تستطع الجيوش العربية التي دخلت إلى فلسطين آنذاك خلال حرب الإنقاذ أن تحقق أية نتائج ملموسة؛ وذلك للأسباب الآتية:

- قلة عدد القوات العربية وضعف تسليحها، وانعدام التعاون والتنسيق فيما بينها.

- الدور السلبي للأنظمة العربية - القائمة آنذاك - في هذه الحرب، ووقوعها تحت الضغط والسيطرة الخارجية.
- وقوف الدول الكبرى إلى جانب "إسرائيل"، وتقديم مساعدات واسعة ومختلفة عسكرية ومالية وسياسية لها.

وفي النصف الأول من عام 1949 تم توقيع اتفاقيات الهدنة بين "إسرائيل" والدول العربية، وفي 12 أيار من العام نفسه تم قبول "إسرائيل" عضواً في الأمم المتحدة نتيجة ضغط الدول الكبرى. وقامت "إسرائيل" على مساحة قدرها 77.4 % من مجموع مساحة فلسطين، وطردت منها حوالي 800/ألف نسمة من الشعب العربي الفلسطيني، وتحولوا إلى لاجئين.

وهكذا وبعد انتهاء حوالى ثلاثين عاماً على وعد بلفور تم تنفيذ الأهداف الصهيونية في إقامة "إسرائيل" الوطن القومي لليهود ككيان عنصري توسيعي استيطاني في فلسطين العربية.

أدى قيام "إسرائيل" بضمونها التوسيعي العنصري الاستيطاني في فلسطين العربية إلى تحويل المنطقة بكمالها إلى مسرح لصراع عنيف ودام بين "إسرائيل" المدعومة من الحركة الصهيونية والدول الاستعمارية - والأمة العربية التي تدافع عن مصيرها ووجودها.

سادساً- الصراع العربي - الصهيوني بعد قيام "إسرائيل":

بدأت الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية مجموعة واسعة من الإجراءات التي استهدفت تقوية "إسرائيل" وتوسيع دائرة الاعتراف الدولي بها، ومواجهة حركة التحرر العربية المناهضة لها وللمخططات الاستعمارية، وذلك بالوسائل الآتية:

- إعلان أمريكا في 20 كانون الثاني عام 1949 توسيع مبدأ ترومان المعلن عام 1947؛ ليشمل الدول العربية الراغبة في الحصول على مساعدات سياسية واقتصادية وعسكرية.

2- إعلان الدول الإمبريالية في 25 أيار عام 1950 ما عرف بـ "البيان الثلاثي" الذي تضمن الحفاظ على الكيان الصهيوني وسلامته، وتحقيق مظهر التوازن بين الدول العربية مجتمعةً وهذا الكيان.

3- محاولة أمريكا ربط دول المنطقة بأحلاف عسكرية تحت تسميات مختلفة، مثل: محاولة تشكيل القيادة الرباعية لمنطقة الشرق الأوسط على أن تضم أمريكا وبريطانيا وفرنسا وتركيا، ويتم ربطها لاحقاً بـ "إسرائيل" ودول خارج المنطقة التي أعلن عنها في 13 تشرين الأول عام 1951.

4- محاولة تحديد هذه الفكرة بعد قيام ثورة تموز 1952 في مصر من خلال ربط مصر عسكرياً بكل من أمريكا وبريطانيا عبر "قيادة الشرق الأوسط العسكرية". أو ما عرف أيضاً بـ "الحزام الشمالي" أو منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط في أيار عام 1953. على أن تطور أمريكا هذه المحاولة إلى حلف ذي صفة دينية، فأطلقت عليه "الحلف الإسلامي".

5- محاولة أمريكا عام 1954 الدخول إلى المنطقة عبر المساعدات الاقتصادية والعسكرية بعد العلاقة بين كل من مصر وسوريا والدول الاشتراكية التي أسهمت في كسر الطوق المفروض على تصدير السلاح إلى الدول العربية.

6- محاولة توسيع إطار حلف بغداد الذي ظهر عام 1955 بضم دول عربية إليه بوسائل مختلفة كالضغط السياسي والعسكري على سوريا أو بتمويل السد العالي في مصر مقابل شرطين أساسيين، هما:

- أ- إعلان مصر رسمياً عدم عقد أية اتفاقيات مع الاتحاد السوفيتي.
- ب- موافقة مصر على عقد اتفاقية سلام مع "إسرائيل".

7- استخدام الدول الإمبريالية وـ "إسرائيل" للقوة العسكرية المباشرة؛ لتطبيق التحولات الاجتماعية آنذاك في مصر والوطن العربي، وكان ذلك في العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 الذي قامت به كل من فرنسا وبريطانيا وـ "إسرائيل" نتيجة لتأمين مصر

لقناة السويس ومساعدتها للكوماندوس الفلسطيني الذي بدأ عملياته العسكرية من قطاع غزة في عام 1956.

8- مشروع إيزنهاور: أدى العدوان الثلاثي إلى إضعاف النفوذ البريطاني والفرنسي في الوطن العربي، وإلى زيادة فاعلية حركة التحرر العربية، واتساع علاقتها مع الدول الاشتراكية. وأمام هذه التحولات سارعت أمريكا إلى الإعلان عن وجود فراغ في المنطقة، ولسد هذا الفراغ أعلنت في كانون الثاني عام 1957 عن مشروع إيزنهاور الذي أشار إلى أهمية الوطن العربي، وضرورة إيقائه بعيداً عن النفوذ الشيوعي، واستعداد أمريكا لتقديم مساعدات سياسية واقتصادية وعسكرية، والتدخل العسكري المباشر ومساعدة أية دولة تطلب ذلك.

أ. منظمة التحرير الفلسطينية:

أدت منظمة التحرير الفلسطينية أدواراً مهمة في القضية الفلسطينية منذ الإعلان عن تكوينها عام 1964 عقب قرار صدر من مؤتمر القمة العربية الأول المنعقد بين 13 و 16/01/1964 بالقاهرة. حيث كانت فلسطين تمثل في الجامعة العربية - قبل صدور هذا القرار - تمثيلاً شكلياً وتزايد هذا التمثيل، وعظم الاهتمام به بعد حرب 1948 وما تبعها من إقامة الكيان الصهيوني الغاصب.

تم إنشاء مقر المنظمة في القدس، وأنشئ داخلها دوائر عدة؛ لتوزيع المسؤوليات والإشراف على تنفيذها. وقد تتنوع هذه الدوائر بحسب اختصاصاتها، فمنها السياسية، ومنها الاقتصادية، ومنها الاجتماعية، كما تم فتح مكاتب للمنظمة في العواصم العربية. بدأت المنظمة انطلاقتها العلنية الأولى للعمل الفدائي في بداية سنة 1965.

إن تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية جاء في إطار الجامعة العربية وموافقة الدول العربية الأعضاء؛ وذلك لسبعين:

الأول - تصاعد الخطر الإسرائيلي وحاجة الدول العربية لمؤسسات فلسطينية تشارك في مواجهته بالوسائل الإعلامية المختلفة وغيرها في المقابل جميعها.

الثاني - استجابة الدول العربية لرغبة الشعب الفلسطيني في إنشاء منظمة لقيادة نضاله بهدف استرجاع وطنه المحتل وحقوقه المغتصبة.

أما فيما يتعلق بدور منظمة التحرير بتمثيل الشعب الفلسطيني، فقد اقتصر نشاطها بادئ ذي بدء على المكاتب الموحدة في العاصمة العربية لدرجة عدّ النشاط محاولة لحصر حالة القلق الثوري الذي عمّ أوساط الشعب الفلسطيني، ولكن التنازع بين العمل السياسي والعسكري (الفلائي) في نشاط المنظمة فيما بعد، جعلها تفرض احترامها على الجميع فلسطينياً وعربياً ودولياً حتى غدت الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني على المستويين العربي والدولي. حيث إن تمثيل الشعب الفلسطيني دولياً بعد إنشاء المنظمة بدأ يتطور بشكل ملحوظ منذ عام 1974، وذلك بعد صدور قراري الجمعية العامة للأمم المتحدة 3236 و 3237، إذ سلمت فيهما الجمعية العامة وللمرة الأولى بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيري، وتم منح منظمة التحرير الفلسطينية صفة المراقب الدائم في الجمعية، وسُمح لها بالمشاركة في مناقشات الأجهزة المختلفة التابعة للأمم المتحدة، وفي أعمال اللجان الرئيسية التابعة للجمعية. كما حصلت المنظمة على اعتراف واسع من جانب العديد من المنظمات الدولية الأخرى كمنظمة عدم الانحياز والمؤتمر الإسلامي ومنظمة الوحدة الإفريقية.

إلى جانب الدور السياسي الذي اضطلعت به منظمة التحرير الفلسطينية في بعث الحياة بالقضية الفلسطينية، كانت فصائل المقاومة في إطارها وخارجها خطوة جدية استطاع من خلالها الشعب الفلسطيني أن يُسمع صوته للعالم، ويؤكد حقه في العودة، وإقامة دولته المستقلة على أرض فلسطين.

ب. العدوان الصهيوني في حزيران 1967:

يمثل العدوان الإسرائيلي في 5 حزيران 1967 على الأمة العربية بعامة والأقطار العربية سورية ومصر والأردن وخاصة ذروة الفعل الإمبريالي الصهيوني المعادي للأمة العربية وأهدافها في التحرر والاستقلال. فاحتلال "إسرائيل" لكامل التراب الفلسطيني (الضفة

الغربية) في أعقاب العدوان وللجلolan ولسيناء وتحجير غالبية سكان تلك المناطق قد عمق الصراع العربي – الصهيوني، وزاده تعقيداً، وأضاف للقضية الفلسطينية جوهر الصراع في المنطقة صعوبات جديدة أمام حلها. كان العدوان محاولةً استعماريةً صهيونيةً جديدةً ضد الأمة العربية، استهدف الآتي:

- إسقاط الأنظمة التقديمية والتحررية في كل من سوريا ومصر، والقضاء على أية تحولات نوعية محتملة الظهور في الواقع العربي.
- القضاء على المقاومة الفلسطينية، ومنظمة التحرير الفلسطينية.
- تحقيق أطماع "إسرائيل" التوسعية في الأرض العربية.

استطاعت "إسرائيل" والدول الاستعمارية ب لهذا العدوان توجيه ضربة عسكرية إلى كل من سوريا ومصر ومنظمة التحرير الفلسطينية، وتحقيق توسيع جغرافي على حساب الأرض العربية في الدول المجاورة – سوريا ومصر والأردن، ولكنه فشل في إسقاط الأنظمة في مصر وسوريا، وفي إنهاء منظمة التحرير الفلسطينية.

حاولت "إسرائيل" والدول الاستعمارية استغلال نتائج هذا العدوان لفرض سياسة الأمر الواقع على العرب بإقامة حالة من السلام تحقق المخططات والمصالح الصهيونية والاستعمارية، وتحافظ على حالة اليأس والإحباط التي نجمت عن هذا العدوان، إلا أن الدول العربية التحررية ومنظمة التحرير الفلسطينية استطاعت أن تتجاوز نتائج هذا العدوان وتعيد بناء قوتها العسكرية بمساعدة الدول الاشتراكية والاتحاد السوفييتي، وبرز ذلك في:

- عودة الكفاح الفلسطيني المسلح – معركة الكرامة 21 آذار عام 1968.
- عودة العمل العسكري الواسع ضد القوات الإسرائيلية على الجبهتين السورية والمصرية " معارك الاستنزاف الواسعة".
- تصاعد التأييد الدولي لقضية تحرير الأرضي العربية المحتلة عام 1967.

بعد التغيير في السياسة الدولية ظاهرة تاريخية أصلية تؤدي القوة العسكرية والاقتصادية والعلمية دوراً مهماً في تحديد طبيعة هذا التغيير ودرجته. فالتفاعلات التي تحدث بين الدول وبداخلها تؤثر في النظام الدولي من حيث الطبيعة والبنية. فعلى سبيل المثال تباين نسب النمو بين الدول يؤدي إلى إعادة توزيع القوى في النظام الدولي، غالباً ما يقود إلى تغيير في بنية هذا النظام، وهذا يسمى تأثير قانون النمو غير المتوازن للدول.

وعليه يمكن القول: إن المتغيرات الدولية هي التحولات التي يمكن أن تؤثر في موازين القوى في النظام الدولي، وتحدد أسلوب السلوك والتفكير وأنماطهما وأساليب الحياة بالنسبة للفاعلين الدوليين، وهنا نقصد بالفاعلين الدوليين الدول والمنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية وخاصة الدول الكبرى، مثل: الولايات المتحدة، وروسيا الاتحادية، والاتحاد الأوروبي، والصين، واليابان، في طليعة الدول الفاعلة في النظام الدولي.

فقد كانت الدول الأوروبية الأكثر تأثيراً في النظام الدولي حتى بداية الحرب العالمية الثانية، وهي القائد لهذا النظام. وسياساتها حددت طبيعة العلاقات الدولية، لكنها بعد أن أشعلت الحربين العالميين في النصف الأول من القرن العشرين تراجع دورها، وحلت محلها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي.

وقد ارتسنت العلاقات الدولية في صورة الحرب الباردة، وهي حالة من الصراع والتنافس بين المعسكرين، من أهم خصائصها⁽¹⁾:

- 1 - توازن الرعب النووي أدى إلى عدم حدوث حرب مباشرة بين المعسكرين.
- 2 - حروب عدة بالوكالة في أنحاء مختلفة من العالم.
- 3 - صراع إيديولوجي قوي ومطلق.
- 4 - محاولات كل معاشر احتواء بعض الدول والمناطق لصالحه.
- 5 - توتر مستمر في العلاقات الدولية.

⁽¹⁾ ماجد شلود، المتغيرات الدولية ومستقبل النظام الدولي، دمشق، الطبعة الثانية 2000. ص 34.

6 - سباق تسلح منفلت من عقاله.

أولاً- العلاقات الدولية في الفترة ما بين 1945 – 1991 :

وقد اتسمت العلاقات الدولية في هذه المرحلة بالآتي:

1- انقسام العالم إلى معسكرين الأول تقوده الولايات المتحدة الأمريكية

والثاني يقوده الاتحاد السوفييتي:

على الرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي كانتا قد خاضتا الحرب العالمية الثانية معاً ضد ألمانيا وإيطاليا واليابان (دول المحور) إلا أنهما أصبحتا القوتين العظميين بعد الحرب الثانية، وانطلق كل منهما من حتمية الصراع بين النظامين الشيوعي والرأسمالي الذي يفرض نفسه على الساحة الدولية بالقوة، ولكن وجود السلاح النووي لدى القوتين حال دون وقوع حرب شاملة مدمرة للأطراف كلها، وبقيت الحرب باردة خلال فترة المواجهة. وبقيت سياسات كل طرف تقتصر على إنشاء أحلاف عسكرية واحتواء الآخر، ومنعه من توسيع نفوذه إلى مناطق جديدة من العالم⁽¹⁾.

كما ذكرنا سابقاً حاولت القوى العظمى إيجاد أحلاف عسكرية لمواجهة الآخر، فقد أنشأت الولايات المتحدة الأمريكية عام 1949 حلف الناتو لمواجهة الاتحاد السوفييتي. وبعد ست سنوات أنشأ الاتحاد السوفييتي عام 1955 حلف وارسو لمواجهة المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية. كما أنشأت الولايات المتحدة الأمريكية حلف بغداد في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، وبسبب مقاومة سوريا لهذا الحلف أصبح اسمه الحلف المركزي وانتقل مركبه إلى أنقرة وضم تركيا وإيران وباكستان. وأنشأت الولايات المتحدة كذلك حلف جنوب شرق آسيا في مدينة مانيلا "الفلبين" سنة 1954. لكن الحلف المركزي وجنوب شرق آسيا تم حلهما، بينما استمر حلف الناتو حتى اليوم .

⁽¹⁾ باتريك تيلر، عالم مضطرب، ترجمة هيئة الأبحاث القومية، دمشق، تموز 2010، ص. 91.

2- اندلاع العديد من الحروب بالوكالة^{*} في مناطق متعددة حول العالم:

كان من الواضح أن حرباً بين القطبين ستكون مدمراً لامتنانهما للسلاح النووي؛ لذلك جأ القطبان إلى الحروب بالوكالة في مناطق عديدة من دول العالم الثالث؛ في أمريكا اللاتينية والشرق الأوسط وشبه الجزيرة الكورية.

3- انتهاء الحرب الباردة و انهيار الاتحاد السوفييتي

شهدت سنوات النصف الثاني للعقد الثامن من القرن العشرين وصول الرئيس ميخائيل غورباتشوف إلى الحكم في الاتحاد السوفييتي حيث شرع بمشروع إصلاحي كبير يهدف إلى إعادة هيكلة النظام السياسي والاقتصادي للاتحاد السوفييتي، إلا أن هذه الإصلاحات تسببت من قبل قوى سياسية داخل الدولة، وبرز صراع سياسي داخل الحزب جاء على أثره الرئيس بوريس يلتسين للسلطة، وانهيار الاتحاد السوفييتي عام 1991.

أ- الأسباب التي أدت إلى انهيار الاتحاد السوفييتي:

على الرغم من عدم الاتفاق بين الأكاديميين حول أسباب انهيار الاتحاد السوفييتي إلا أن الأديبيات تشير إلى أسباب سياسية وأسباب تتعلق بالهوية وأخرى اقتصادية.

• الأسباب السياسية:

إن من أهم هذه الأسباب الجمود النظري والفكري الذي أصاب الأحزاب الحاكمة في الاتحاد السوفييتي ودول أوروبا الشرقية، وعدم فهم حاجة الإنسان إلى حريات التعبير والانتقال والاعتقاد وغيرها من الحريات.. وعلى الرغم من أن البناء الاشتراكي في هذه الدول قد حقق إنجازات تاريخية كبيرة على مستوى المساواة وديمقراطية التعليم والنهضة الاقتصادية والعلمية المدهشة، وتخلص المجتمع من استغلال رأس المال، إلا أن ضعف عمليات التطوير باتجاه الانتقال بالمجتمع والاقتصاد والحريات الشخصية وال العامة إلى مستوى أكثر عصرية أدى إلى ظهور قلائل وتذمر في هذه المجتمعات، ناهيك عن ضغط الغرب الرأسمالي الثقافي والاقتصادي ودفع الدول الاشتراكية لتخفيض قسم مهم من

* الحروب بالوكالة: الحروب التي خاضتها بعض القوى الإقليمية لتعكس حالة الصراع الدولي والمنافس بين المعاكرين.

وارداتها لسباق التسلح.. في هذه الأجواء طرح غورباتشوف (الأمين العام للحزب الشيوعي السوفيتي) برنامجه للإصلاح وإعادة البناء (البيروسترويكا) والشفافية والعلنية. لكن عملية الإصلاح خرجت من يد الحزب الحاكم وظهرت نخب سياسية مدعاة من الغرب ت يريد إخفاء النظام الاشتراكي⁽¹⁾.

إن طبيعة النظم السياسية في الاتحاد السوفيتي التي رأى فيها العديد من الخبراء أنها لا تتوافق والطبيعة الإنسانية التي تسعى إلى الحرية، وخاصة بعد أن بدأت تظهر ملامح الأزمة السياسية داخل هذا النظام؛ نتيجة لمشروع الإصلاح الذي طرحته الرئيس ميخائيل غورباتشوف بعد استلامه السلطة عام 1985؛ إذ بزرت تيارات عديدة داخل المجتمع السوفيتي بشكل عام والقيادة السياسية بشكل خاص ذات وجهات نظر مختلفة حول ضرورة الإصلاح وآلياته. هذا الجدل أدى إلى احتدام الصراع في دائرة صنع القرار في الحزب الشيوعي السوفيتي والذي انتهى إلى تراجع نفوذ الرئيس غورباتشوف ووصول نخب سياسية جديدة، فضلاً عما سبق يمكن ذكر بعض الأسباب من أهمها⁽²⁾:

- السياسات التي اتبعها الاتحاد السوفيتي في دعم الكثير من الدول والتي شكلت أعباءً سياسية واقتصادية عليه.
- حرب أفغانستان عام 1979 وما خلفته من تداعيات على المستويات كافة.
- تركيبة الاتحاد السوفيتي القائمة على ضم جمهوريات ذات أعراق وثقافات مختلفة.
- تخلي مجموعة من الأنظمة الشيوعية عن النهج الاشتراكي، وبدأ اهتمامها يتوجه تدريجياً نحو النهج الليبرالي، (بولونيا).
- هدم جدار برلين وتوحيد الألمانيتين؛ بموجب معاهدة الوحدة الألمانية سنة 1989، وهدم الستار الحديدي بين هنغاريا والنمسا.

⁽¹⁾ القيادة القطرية ، دراسات سياسية ، دمشق، 2003، ص 55.

⁽²⁾ موسى الرعي، الشادي، السياسة الدولية في نهاية الحرب الباردة، دمشق، الطبعة الأولى 1995، ص 87.

• الأسباب المتعلقة بالهوية:

كأي نظام سياسي في أي بلد كانت من أولويات النظام في الاتحاد السوفيتي تعزيز الهوية الوطنية السوفيتية ليتعدى الهويات القومية والإثنية المختلفة التي يحملها أبناء الوطن. فقد تكون الاتحاد السوفيتي من قوميات متعددة، ومن بلدان عديدة لديها هوياتها المتعددة والمؤثرة. والحقيقة أن نظام الحكم في الاتحاد السوفيتي لم ينجح في تأسيس هوية سوفيتية جامعة تصهر أو تعلو الهويات الأخرى جميعها، وتحل محل كل الاتساعات الفرعية للأفراد. لذلك عندما تراجعت السلطة المركزية بترت الهويات الفرعية كلها على السطح، وطالبت بالانفصال والاستقلال.

• الأسباب الاقتصادية: يشير علماء الاقتصاد إلى العديد من الأسباب الاقتصادية، أهمها:

- تراجع القوة الاقتصادية للاتحاد، بسبب إهمال الإصلاح الاقتصادي، وعدم توفير أساليب التكنولوجيا للعملية التصنيعية؛ فضلاً عن الإنفاق العسكري الكبير الذي وصل إلى حوالي 70% من مجموع النفقات؛ مما أدى إلى استنزاف موارد الدولة الاقتصادية.
 - عجز الميزان التجاري للاتحاد السوفيتي وغيره من الدول الاشتراكية، إذ كانت قيمة الواردات أكثر من قيمة الصادرات بكثير.
 - تزايد البيروقراطية والتدهل في أجهزة الدولة؛ الأمر الذي أضرَّ بالعمل المؤسساتي، وزيادة نسب الفساد.
 - المستوى المتدن لدخل الأفراد الذي أثر في مستوى المعيشة في المجتمع، وأدى إلى ضعف معدلات التنمية والنمو الاقتصادي.
 - الضائقة الاقتصادية بسبب دفع أقساط الديون التي أخذتها بعض الدول من صندوق النقد الدولي المسيرأمريكيًّا (مثل رومانيا وبولونيا).
- وأمام تلك المشاكل ركَّز ميخائيل غورباتشوف منذ وصوله إلى السلطة سنة 1985 اهتمامه على إصلاح الأوضاع، فشرع في تطبيق برنامج البيروسترويكا (إعادة البناء) الذي

تميز بالانفتاح والتحول التدريجي إلى اقتصاد السوق وتحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للسكان.

فضلاً عن برنامجه الذي عرف بالكلالست (الشفافية والعلنية) الذي كان يهدف إلى ضمان حرية التعبير والإعلام والدين وحماية الحريات العامة. ولكن على الرغم من هذه الإصلاحات بدأت الجمهوريات السوفيتية تعلن استقلالها واحدة تلو الأخرى؛ مما أدى إلى تفكك الاتحاد السوفيتي وتقسمه غورباتشوف استقالته سنة 1991.

بـ- النتائج المترتبة على تفكك الاتحاد السوفيتي:

شكل انهيار الاتحاد السوفيتي نقطة انعطاف وتحول كبير في العلاقات الدولية؛ إذ ترتب على ذلك العديد من النتائج، أهمها:

- انهيار الانظمة الاشتراكية في أوروبا الشرقية .
- تفكك العديد من الدول متعددة القوميات، مثل: يوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا.
- تحول النظام الدولي إلى نظام أحادي القطب تقوده الولايات المتحدة الأمريكية.
- زوال حلف وارسو الذي كان يضم دول الكتلة الشرقية بقيادة الاتحاد السوفيتي.
- نجاح الولايات المتحدة الأمريكية في توسيع حلف الأطلسي باتجاه دول أوروبا الشرقية⁽¹⁾.

ثانياًـ المتغيرات الدولية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة:

مع بداية العقد التاسع من القرن العشرين شهد العالم مجموعة من المتغيرات التي تركت تداعيات كبيرة أثرت في العلاقات الدولية، أهمها:

- 1- بعد انهيار الاتحاد السوفيتي تفرد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة النظام الدولي. وحاولت ترسیخ أسس نظام عالمي جديد يقوم على الفكر الليبرالي وجعل القرن الحادي والعشرين قرناً أمريكياً.

⁽¹⁾ روجيه غارودي، أمريكا طليعة الانحطاط، ترجمة عمرو زهيري، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الأولى 1999، ص 231.

- 2- بروز التكتلات الاقتصادية الدولية.
- 3- ازدياد نطاق العولمة، وأثرها في العلاقات الدولية.
- 4- أحداث الحادي عشر من أيلول 2001 وال الحرب على الإرهاب.
- 5- الأزمة المالية العالمية 2008.
- 6- الحرب على سوريا 2011.

أ- بروز النظام العالمي الجديد (أحادي القطب):

برز على الساحة الدولية مصطلح النظام الدولي الجديد ليعبر عن حقبة جديدة في العلاقات الدولية لها سماتها وخصائصها المميزة، والتي يبشر بها بعضهم على أنها نهاية التاريخ أمثال فوكوياما، بينما يراها الأكثرية مجرد مرحلة من مراحل تطور العلاقات الدولية التي مررت عبر تاريخها بالعديد من الدورات والنظم.

ويقصد بالنظام الدولي مجموعة الوحدات السياسية – سواء على مستوى الدولة أو ما هو أصغر أو أكبر – التي تتفاعل فيما بينها بصورة منتظمة ومتكررة؛ لتصل إلى مرحلة الاعتماد المتبادل؛ مما يجعل هذه الوحدات تعمل كأجزاء متكاملة في نسق معين؛ وبالتالي فإن النظام الدولي يمثل حجم التفاعلات التي تقوم بها الدول والمنظمات الدولية والفاعلون دون مستوى الدولة مثل حركات التحرير، والقوى العابرة للقومية، مثل: الشركات متعددة الجنسية وغيرها.

● الولايات المتحدة والنظام العالمي الجديد:

إن نهاية الحرب الباردة حكمت على الفكر الاستراتيجي الأمريكي بإعادة بناء منظومته النظرية، ومراجعة أولوياته واتجاهاته العلمية، وذلك بالنظر إلى التحولات الجيوسياسية النوعية التي غيرت خريطة العلاقات الدولية.

ومن المعروف أن السياسة الخارجية الأمريكية خلال الحرب الباردة قد تحورت

حول ثلاثة أهداف مترابطة، هي⁽¹⁾:

⁽¹⁾ زيفنيف برجنسيكي، رقة الشطونج الكبير، دمشق، دار علاء الدين، الطبعة الأولى 2007، ص 44.

- احتواء الاتحاد السوفيتي وتطويقه.
 - الخيلولة دون انتشار الشيوعية في العالم، وعلى الأخص مناطق النفوذ الأمريكي وحزام أنهاها الحيوي في أوروبا وأمريكا اللاتينية.
 - دفع النمو الاقتصادي في العالم، وتوطيد المنظومة الرأسمالية والتحكم بها.
- أما في المرحلة الجديدة التي بدأت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وضعت الولايات المتحدة الأمريكية استراتيجية تعكس طبيعة هذه المرحلة، وقد بنيت هذه الاستراتيجية على مجموعة من الأسس الفكرية والنظريات.
- و فيما يأتي أبرز هذه النظريات والأطروحات الفكرية والثقافية التي شكلت الأساس لهذه الاستراتيجية:

❖ نظرية نهاية التاريخ لـ (فرانسيس فوكوياما) :

قدم عالم السياسة الأمريكي من الأصول اليابانية فرانسيس فوكوياما نظرية مع انهيار الاتحاد السوفيتي إذ انطلقت أفكاره حول نهاية التاريخ من الفرضية الآتية:

في الظروف الحالية التي يمر بها المجتمع الدولي لا يوجد خيار آخر سوى التحرك على طريق الديموقراطية الليبرالية والرأسمالية ذلك الطريق الذي رسمته الحضارة الغربية لعملية التطور الاجتماعي عبر التاريخ⁽¹⁾.

لقد حاول فوكوياما أن يقدم المسوغات السياسية والفكرية والثقافية لبروز مجتمع جديد، وأن يبشر ويوسس لهذا المجتمع الجديد من خلال التغيرات التي يجب أن تقوم في بيئته الاجتماعية والسياسية والثقافية والفنية والاقتصادية؛ مجتمع يقوم على الفكر الليبرالي الذي يخدم مصلحة الدول الغربية. إذ تركت أفكار فوكوياما حول تعميم النمط الديمقراطي الليبرالي الغربي في العالم⁽²⁾. حيث رأى أن أشكال الحكم غير الليبرالية تعاني من تناقضات وعيوب عديدة، أهمها غياب الحريات الفردية والمساواة والعدالة الاجتماعية؛

⁽¹⁾ تشارلز جونسون، أمريكا العظمى، ترجمة فاطمة نصیر، دمشق، سطور، الطبعة الأولى 2006، ص.64.

⁽²⁾ أني. أوتكين، النظام العالمي للقرن الواحد والعشرين، ترجمة يونس كامل ديب وهاشم حادي، دمشق، دار المركز الثقافي، الطبعة الأولى 2007، ص.442.

الأمر الذي أدى إلى سقوط بعضها. أما النظام الليبرالي كما يراه فوكويا ماما فهو ينسجم مع تطلعات أفراد المجتمع، ويعكس مصالح الجميع، وبعد الأقرب إلى العدالة الاجتماعية وهو بذلك يشكل نهاية للتطور الإيديولوجي للإنسانية، والصورة النهائية لنظام الحكم البشري ولا يوجد برأي فوكويا ماما أي نظام سياسي اقتصادي اجتماعي يشكل بدلاً أبجع من هذا النظام؛ وبالتالي فهو يمثل نهاية التاريخ.

❖ نظرية صراع الحضارات :

تقوم هذه النظرية التي أعلنها الكاتب الأمريكي صموئيل هنتغتون على فرضية مفادها أن مستقبل العلاقات الدولية سيتجسد بصراع من نوع جديد هو صراع الحضارات. فقد قسم هنتغتون العالم إلى ثمان حضارات ستكون محور الصراع الرئيس القادم. وبذلك تشير هذه النظرية إلى أن الصراع في العلاقات الدولية سيكون بين الحضارات أو الثقافات، وليس بين الدول القومية.

إن نظرية هنتغتون حول الصراع بين الحضارة الغربية وغيرها من الحضارات الكبرى لا تستند إلى أية مركبات علمية أو منطقية، وليس هناك ما يدل عليها، أو يؤكدها. إن العودة إلى القرون الماضية تبين على سبيل المثال أن الصراع كان داخل الحضارة الغربية نفسها وليس بين الحضارات. ولذلك تعرضت هذه النظرية إلى العديد من الانتقادات؛ كونها ترسخ مفهوم التفوق الحضاري للحضارة الغربية وتحمية الصراع مع الحضارات الأخرى وبالمقابل قدم مجموعة من المفكرين والسياسيين، وعلى رأسهم الرئيس الإيراني الأسبق محمد خاتمي مبادرة حوار الحضارات بدلاً من الصراع.

ومع نهاية الحرب الباردة تغيرت خريطة العلاقات الدولية جذرياً، ورفع الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الأب شعار "النظام العالمي الجديد"، حيث شكل انفراد الولايات المتحدة القوة المهيمنة في العالم التحدى الأبرز لها والتي جعلتها تواجه لأول مرة في تاريخها مصاعب جمة في تحديد رؤيتها الاستراتيجية، على الرغم من انتصارها في حربها الطويلة مع المعسكر الشيوعي. فالإشكالية الرئيسة التي واجهت السياسة الخارجية

الأمريكية بعد الحرب الباردة هي كون هذه السياسة بنيت منذ الاعتداء الياباني على ميناء بيرل هاربر الأمريكي 1941 على مواجهة عدو خارجي في إطار صراع دولي تضطلع فيه الولايات المتحدة بالمكانة المحورية والدور المركزي. فقد تزايدت حملات الولايات المتحدة الأمريكية في العالم بعد نهاية الحرب الباردة، حيث شنت حملة عسكرية على العراق سنة 1991، أعقبها حصار اقتصادي استمر حتى عام 2003، لتعود الولايات المتحدة وحلفاؤها إلى احتلال العراق في العام نفسه من دون موافقة الأمم المتحدة. كما تدخلت عسكرياً بشكل منفرد في الصومال خلال عامي 1992-1994. وفي سنة 1999 أقحمت حلف شمال الأطلسي في حملتها العسكرية على يوغوسلافيا، كما شنت غزواً عسكرياً بغضاء ألمي على أفغانستان في سنة 2001. وفي الفترة الحالية يتغوف المجتمع الدولي من تداعيات التهديدات والضغط التي تشنها ضد إيران وكوريا الشمالية وسوريا، إلا أن هذه المسائل كانت في حد ذاتها مؤشرات أولية لنهاية التفرد الأمريكي في دول العالم، وصعود قوى ودول أكثر مراعاة لمتطلبات شعوب العالم النامي ومعاناته، وترغيب بتحقيق الأمن والسلم الدوليين.

• أهم الفاعلين في النظام الدولي في مرحلة ما بعد القطب الواحد:

لم يأت نظام القطب الواحد نتيجة منطق طبيعي؛ وإنما بسبب اختيار الاتحاد السوفيتي ، هذا يعني افتقاد التوازن في العلاقات الدولية. ولما كان فقدان التوازن غير الطبيعي سرعان ما ظهرت المحدودية التاريخية لنظام القطب الواحد. كان الأمر بحاجة إلى بؤرة ينفجر فيها الصراع بين المتعلق الطبيعي (منطق التوازن) والقطب الواحد (اللاتوازن). كان لتصدي الشعب العربي السوري للحرب الإرهابية أن خلق بؤرة الانتقال إلى نظام عالمي جديد على أسلاء القطب الواحد.

فبسبب التصدي السوري للحشد الكبير الذي حشدته قوى المهيمنة والصهيونية وأتباعها، بدأت القوى الدولية المعارضة للقطب الواحد تتنفس، مستفيدة من أن الضربة الكبرى التي قام بها القطب الواحد فشلت في سوريا فشلاً ذريعاً. فسرعان ما بُرِزَ على

الساحة الدولية عدد من القوى التي تمتلك من المقدرات القومية ما تؤهلها لأن تكون من الدول العظمى، وهذا بدوره يقود للانتقال إلى نظام دولي مختلف عن الأحادية القطبية، وتأتي روسيا والصين في مقدمة الدول إلى جانب الاتحاد الأوروبي؛ فضلاً عن تأسيس تحالفات اقتصادية أصبح لها وزن اقتصادي سوف تكون رقمًا صعباً في المستقبل لا يمكن تجاهله. ومن أهم هؤلاء الفاعلين:

روسيا: تعد أكبر دولة منتجة للغاز في العالم، وصاحبة سابع أكبر احتياطي نفط في العالم، وتحتل المرتبة الأولى في الإنتاج، وبشكل عام هي دولة غنية بالثروات الباطنية. ومن الناحية العسكرية تعد روسيا من أهم الدول المصدرة للسلاح والتكنولوجيا النووية في العالم، ويبلغ معدل إنفاقها العسكري 3.9% من ناتجها القومي؛ أي ما يقرب من 55 مليار دولار عام 2019. وهي من الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن، وله دور فاعل في العلاقات الدولية والمجتمع الدولي، ولا يمكن للولايات المتحدة والقوى الأخرى تجاوزها في أي أزمات وقضايا لها طابع عالمي وإقليمي. فقد استطاعت أن تؤدي دوراً مهمًا في السياسة الدولية، وفي أغلب مناطق العالم⁽¹⁾. وقد باتت روسيا من الدول القوية غير القانعة والسعية لتغيير بنية النظام الدولي، وتجلّى ذلك واضحًا خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، ومن ثم في الحرب على سوريا؛ إذ اتخذت روسيا مجموعة من قرارات الفيتو التي عطلت المشاريع الغربية بالتدخل المباشر. كما استطاعت نسج علاقات عالمية ليس فقط مع الأنظمة السياسية، بل مع شعوب العالم؛ لأنها أثبتت أنها من الأطراف الضامنة لحفظ السلام والأمن الدوليين، وتحترم المواثيق الدولية والقانون الدولي من خلال عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، وتحرص على سيادة الدول المستقلة. ولاشك في أن الحرب على سوريا كان لها الدور الأبرز في إظهار ذلك للعالم أجمع. لاشك في أن هذه السياسة الروسية تعدّها الولايات المتحدة ضد مصالحها وتمدد نفوذها، وهذا

⁽¹⁾ بير باري، القرن الحادي والعشرون لن يكون أمريكا، ترجمة مدين مصري، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، الطبعة الأولى ، ص139.

ما قاله وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر: إن التحدي الروسي شُكّل أكبر عقدة استراتيجية للولايات المتحدة وحلفائها في العصر الراهن.

الصين: بحثت الصين فيما فشل به الاتحاد السوفيتي. ففي الاتحاد السوفيتي أدى الإصلاح إلى اختيار النظام الاشتراكي برمهته ، أما في الصين فقد قامت بإصلاح نوعي وبنوي ياتجاه ما سمي (السوق الاشتراكية) تحت رقابة الدولة والحزب ، فكان التحول هادئاً ومتناهاً على أساس الاستفادة من التجربة السابقة⁽²⁾.

تستمر الصين من الناحية العسكرية برفع ميزانيتها العسكرية بشكل مضطرب، أما من الناحية الاقتصادية فقد احتلت الصين مكان ألمانيا رسمياً كأكبر مصدر في العالم في نهاية 2009. وحققت الصين خلال العقدين الماضيين نسبة نمو تصل إلى 10% سنوياً بشكل وسطي، وإذا استمر نموها الاقتصادي بهذه الوتيرة، فهذا يعني أنها ستتمكن من إزاحة الولايات المتحدة عن أكبر قوة اقتصادية في العالم بين 2020-2025. وتحولت الصين إلى أكبر مستهلك للطاقة متتجاوزة الولايات المتحدة؛ مما يضعها أمام ضرورة توسيع نفوذها للحصول على النفط؛ لضمان استمرار نموها الاقتصادي، وقد يسود التوتر بين أمريكا والصين نتيجة لتدخل الصين في المنطقة العربية لضمان وصولها لمصادر النفط، مع تحولها إلى أكبر مستورد للنفط السعودي في العالم. كما أنها الشريك النفطي الأول لإيران، وتعمل الصين حالياً على مد سكة حديدية تربطها بإيران والعراق وسوريا عبر مشروعها المسمى (الحزام والطريق).

يتفق أركان التيار الحافظ الجديد في الولايات المتحدة على أن الصين تمثل التهديد المستقبلي الحقيقي للهيمنة الأمريكية. لذا تحول الصعود الصيني إلى مسألة مهمة وحساسة في الفكر الاستراتيجي الأمريكي؛ إذ يرى بعض المسؤولين الأمريكيين ضرورة حسم الخيار الاستراتيجي معها، الذي تأرجح خلال العقود الأخيرة بين الشراكة الاستراتيجية الخذلة والاشتباك المحدود.

(2) جاسم محمد زكريا، مفهوم العالمية في التنظيم الدولي المعاصر، منشورات الحلي، بيروت، الطبعة الأولى 2006.

الاتحاد الأوروبي:

الاتحاد الأوروبي هو منظمة إقليمية تضم ثمانية وعشرين بلداً أوروبياً، أسس بموجب معاهدة ماستريخت عام 1992 ، وقد كان المدف من هذه المعاهدة تعزيز التكامل السياسي والاقتصادي الأوروبي، وذلك من خلال إنشاء عملة موحدة هي اليورو، وإنشاء سياسة خارجية وأمنية موحدة، وتحقيق المواطنة المشتركة، وتعزيز التعاون في مجالات الهجرة واللجوء والشؤون القضائية. لذلك قامت السياسة الخارجية الأوروبية منذ اتفاقات ماستريخت على الآتي :

- الحدّ من منطق السيادة القومية لصالح مبدأ السيادة المشتركة(الكونية).
 - بلورة مفهوم المحاكمة العالمية لإدماج مختلف الأطراف الفاعلة في الحقل الاجتماعي، بما فيها الأطراف غير الحكومية، وإدارة حركة العولمة في أبعادها المتشعببة.
- ولكن كشفت الأزمات الدولية، خصوصاً بعد أحداث أيلول 2001 أن هذه الرؤية اصطدمت بالمقاربة الأحادية الأمريكية، ولم تتمكن من بلورة آليات حماية خيار الشراكة الدولية وتفعيله الذي تتخذه أفقاً استراتيجياً، الأمر الذي يمنع تشكيل قوة أوروبية حقيقة، لها وسائلها الدفاعية المميزة وسياساتها الخارجية المستقلة.

وبانتظار أن تتعزز هذه التوجهات في المستقبل ما زالت روابط أوروبا مع أمريكا قوية عبر حلف الناتو والموقف المعادي لسوريا وغير ذلك من القضايا.

إن أهم تحول في هذه الدينامية الدولية المستندة إلى فشل المؤامرة في سوريا هو أن الاتحاد الأوروبي نفسه بدأ يتململ من التبعية الأمريكية. يؤكد هذا ما يلي :

- العلاقات الأوروبية الإيرانية الطبيعية وتمسك أوروبا باتفاق إيران النووي (1+5) على عكس الولايات المتحدة.
- خروج بريطانيا من الاتحاد وهي القرية من الولايات المتحدة.
- علاقات متطرفة في مجال الطاقة مع روسيا وآفاق واسعة للتعاون.

- مواقف متميزة لأوروبا بعيداً عن أمريكا في عدد من القضايا الدولية (القضية الفلسطينية - القدس - الجولان - فنزويلا).

وبانتظار أن تتعزز هذه التوجهات في المستقبل ما زالت روابط أوروبا مع أمريكا قوية عبر حلف الناتو والموقف المعادي لسوريا وغير ذلك من القضايا.

ب - بروز التكتلات الاقتصادية الدولية:

وحدثت التكتلات الاقتصادية تعبيرها الفكري في نظرية التكامل الاقتصادي بعد الحرب العالمية الثانية لمواجهة ما خلفته هذه الحرب من أزمات وصعوبات وتحديات إعادة البناء، وخاصة في أوروبا، إلا أن تلك الظاهرة ازدهرت بعد نهاية حقبة الحرب الباردة (في العقد الأخير من القرن العشرين)؛ إذ بات التكامل الاقتصادي ضرورة تفرضها الظروف الاقتصادية الدولية وذلك كوسيلة لتحقيق التطور على الأصعدة كافة. فالانتماء إلى تكتل اقتصادي بالنسبة للدول أصبح أمراً مهماً للحد من الآثار السلبية للعولمة، وضرورياً بهدف الحد من آثار الأزمات والتحديات التي تواجه الدول في زمن تحرير التجارة؛ وبالتالي فالتكتلات تحمي المصالح الاقتصادية بالدرجة الأولى للدول الأعضاء في التكتل.

ومن أبرز التكتلات الاقتصادية المعاصرة:

• تجمع البريكس:

البريكس: عبارة عن تجمع سياسي واقتصادي عالمي يسعى لتحقيق التعاون التجاري والسياسي والثقافي بين دول المجموعة؛ لتحقيق نمو اقتصادي يؤمن لشعوبها الأمن والاستقرار والرفاه، ويضم التجمع دولاً متفاوتة في القوة الاقتصادية والسياسية، يمكن تصنيفها من الدول الصاعدة المهمة على الساحة الدولية.

ظهر البريكس كتجمع دولي إلى الوجود بمبادرة روسية صينية، حيث تم عقد لقاء بين وزراء خارجية روسيا والصين والهند والبرازيل في أثناء انعقاد اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك في أيلول 2006. أما القمة الرسمية الأولى للتجمع، فقد عقدت

في 2009 بحضور رؤساء الدول الأربع، لعلن بشكل رسمي عن ولادة تجمع دولي حمل آنذاك اسم "بريك" دلالة على أسماء الدول الأربع المتحمة، ثم انضمت جنوب إفريقيا إلى التجمع في عام 2010، ليصبح اسم التجمع "بريكس" عوضاً عن "بريك".

يعد "تجمع البريكس" أكبر التجمعات الاقتصادية في العالم؛ إذ إن هذا التجمع يضم حوالي 43% من سكان العالم، ويبلغ مجموع مساحات دولة ربع مساحة الكرة الأرضية، ويبلغ الناتج المحلي لدوله حوالي 27% من الناتج المحلي الإجمالي العالمي، ووصلت المبادرات التجارية بين هذه الدول إلى ما نسبته 15% من التجارة العالمية، وتمتلك 45% من الأيدي العاملة على مستوى العالم، وتنتج 40% من القمح العالمي، وتمتلك أكثر من 50% من الاحتياطيات النقدية العالمية ... إلخ.

• منظمة شنغهاي للتعاون (SCO) :

أُسّست منظمة شنغهاي للتعاون كرابطة متعددة الأطراف لضمان الأمن، والحفاظ على الاستقرار عبر الأنحاء الشاسعة لأوروبا وأسيا، وتوحيد الجهد للتصدي للتحديات والتهديدات الناشئة، وتعزيز التجارة؛ فضلاً عن التعاون الثقافي والإنساني. وعن طريق تعزيز التعاون الذي يحقق المنفعة للأطراف بالتساوي، ومنع المواجهة والنزاع، والحفاظ على الأمن كحق متساوٍ وكامل، فإن منظمة شنغهاي للتعاون (SCO) تهدف إلى بناء نظام عالمي متعدد المراكز، يتسع بشكل كامل مع قواعد القانون الدولي ومبادئ الاحترام المتبادل التي تلي مصالح كل دولة، مع وضع احتياجاتها وطموحاتها المتبادلة في الحسبان.

تضم المنظمة التي أُسّست في حزيران عام 2001 كلاً من (روسيا، والصين، وكازاخستان، وقرغيزستان، وأوزبكستان، وطاجيكستان، والهند وباكستان)، وتحضرها (إيران و Mongolia و Afghanistan و Belarus) بصفة مراقب، وتوجد في منظمة شنغهاي للتعاون آلية حوار الشركاء، وتضم الآن أرمينيا وأذربيجان وكمبوديا ونيبال وتركيا وسريلانكا.

بعد منح منظمة شنغهاي عضوية كاملة لكل من الهند وباكستان في حزيران عام 2017، فإن منظمة شنغهاي باتت تمثل 9,2 مليار نسمة، وهو ما يشكل 40% من سكان العالم.

• الاتحاد الاقتصادي الأوروبي (الأوروبي الآسيوي) (EUU) :

الاتحاد الأوروبي: هو اتحاد سياسي اقتصادي تجاري يضم كلاً من روسيا وبيلاورسيا وأرمينيا وكازاخستان وقرغيزستان، ويهدف إلى تعزيز الروابط التجارية والاقتصادية بين أعضائه، وتتضمن اتفاقيات الاتحاد لأعضائه جميعاً حرية نقل السلع والخدمات ورؤوس الأموال واليد العاملة. ويأتي هذا الاتحاد ليمثل خطوة جديدة في إعادة تشكيل الخريطة الاقتصادية العالمية، وكرد فعل قوي تجاه محاولات الغرب لعزل روسيا، وتقليل دور العالمي الذي تطمح إليه.

تشكل الاتحاد الاقتصادي الأوروبي - الآسيوي من دول تقع في شمال أوراسيا، وأنشئ في 29 أيار 2014 ضمن اتفاقية وقعتها رؤساء كل من بيلاروسيا وكازاخستان وروسيا، ودخل الاتحاد حيز التطبيق في 1 كانون الثاني 2015، وقد انضمت أرمينيا إلى الاتحاد في اليوم التالي لدخوله حيز التطبيق، وانضمت إليه قرغيزستان في أيار 2015.
من أبرز مميزات الاتحاد:

- يبلغ عدد سكانه 183,8 مليون نسمة، ويعادل 4,2% من عدد سكان العالم.

- يمثل الناتج المحلي لدوله حوالي 3,2% من الناتج العالمي.
- تسهم دول الاتحاد في 8,2% من إجمالي الصادرات العالمية، و 1,09% من إجمالي الواردات العالمية.
- تنتجه دول الاتحاد حوالي 14,5% من إجمالي الإنتاج النفطي العالمي، وحوالي 2,20% من إجمالي الإنتاج العالمي من الغاز الطبيعي.

إن المتغيرات المذهبة التي شهدتها القرن العشرون، وببداية القرن الحادي والعشرين طالت كل أوجه النشاط البشري وعلى الصعد الاقتصادية والعلمية والعسكرية والاجتماعية والسياسية كافة، وغير ذلك من الشؤون الدولية. وهذه التحولات بدورها قلبت كثيراً من المفاهيم في الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي رأساً على عقب، وأحلت محلها مفاهيم جديدة تبُوأَت الصدارة في قاموس الفكر الفلسفـي المستقبلي، وكان أهمها مفهوم "العولمة" الذي اشتهر بين الباحثين، وأصبح الأكثر شيوعاً بين الاقتصاديين، والسياسيـين، والإعلاميين.

- مفهوم العولمة: 1

يُعد لفظ العولمة لفظاً مترجماً للمصطلح الإنجليزي (*Globalization*), حيث ترجمه بعضهم بالعولمة، كما ترجمه بعضهم الآخر بالكونية، وورد أيضاً أنه ثُرِّجم إلى لفظ الكوكبة، ويُعد لفظ العولمة الأشهر بينها. والعولمة هي عملية سيطرة وتحكم ووضع القوانين إلى جانب إزالة الحواجز بين الدول، وهي العملية التي تسمح للمؤسسات بتطوير تأثيرها العالمي على اختلاف أنواعها. ومصطلح يمكن تعريفها بأنّها سيادة نموذج من النماذج الاقتصادية، والسياسية، والفكريّة، والاجتماعيّة على المستوى العالمي وتفوقه، وهي ظاهرة مرتبطة بالحضارة الغربية في محاولة لفرض ثقافتها وسياساتها واقتصادها. وقد عرف قاموس وبستر العولمة على أنها: إكساب الشيء طابع العالمية، وبخاصة جعل نطاق الشيء أو تطبيقه عالمياً⁽¹⁾.

أما التعريف الوظيفي للعولمة، فينبع على وصف تجليات العولمة ومظاهرها وإنجازاتها، مثل: التقدم التكنولوجي غير المسبوق، ثورة المعلومات والاتصالات، وقوة الشركات العابرة للقوميات وحركتها، والتحولات الالزمة لابحاج سوق عالمية واحدة تضمن فيها حرية

⁽¹⁾ ماجد شلود ، العولمة، مفهومها، مظاهرها، سياق التعامل معها، دمشق، الطعة الأولى 1998، ص 87.

الحركة لرأس المال، والسلع والخدمات، وقوى العمل البشرية. فهي ظاهرة لا مفر منها، من شأنها تحويل العالم إلى قرية كونية واحدة.

وينظر التعريف البنوي إلى العولمة على أنها عملية تاريخية جدلية تمثل مرحلة متقدمة من مراحل تطور التاريخ الإنساني، من حيث تراكم المعرفة العلمية والتكنولوجية؛ وبالتالي فهي ليست نهاية التاريخ كما يقول فرانسيس فوكوياما الأكاديمي الأمريكي الشهير في كتابه "نهاية التاريخ والإنسان الأخير".

وقد تعددت تعريفات العولمة ومعانيها، وختلفت وجهات نظر الباحثين فيها، وبسبب هذه الاختلافات أصبحت العولمة موضوعاً يثير الجدل في أنحاء العالم المختلفة. بعض المفكرين يذهبون إلى أن العولمة العالمية تعني معنى واحداً وليس بينهما فرق. ولكن الحقيقة أن هذين المصطلحين مختلفان في المعنى: فالعولمة تعني نشر الشيء بالقوة أو بالنفوذ، والعالمية تعني انتشاره على نطاق واسع بالاقتداء والاقتناع.

2 - نشأتها:

يذهب بعض الباحثين إلى أن العولمة ليست وليدة اليوم؛ بل هي عملية تاريخية قديمة مرت عبر الزمن بمراحل عده، وتعززت بنقلات نوعية عبر مراحلها المتالية، مثل: الاكتشافات الجغرافية ونمو الاقتصاد الرأسمالي، والنهضة الأوروبية الحديثة. وفي منتصف القرن العشرين تسارعت وتيرة العولمة بشكل كبير عن طريق الشركات متعددة الجنسيات من الولايات المتحدة وأوروبا، ومعها انتقلت الأفلام والموسيقا والراديو والاتصالات التي كانت في غالبيتها تأتي من الغرب. وبعد الحرب العالمية الثانية انتقلت العولمة إلى أفق جديد، حيث وقعت اتفاقيات لتحرير التجارة العالمية وكسر الحدود مثل مؤتمر بريتون وودز، وأنشئت مؤسسات مالية دولية، مثل⁽¹⁾: البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة الغات التي أصبحت فيما بعد منظمة التجارة العالمية التي تهدف إلى تحرير التجارة بين الدول،

⁽¹⁾ مسعود ظاهر، المثقف العربي وتحديات العولمة، دمشق، مجلة دراسات فكرية، العدد 23، تاريخ كانون الثاني 2011، ص 67.

كما أسهمت معاهدة ماستريخت في أوروبا ومنظمة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية(نافتا) في خفض الجمارك وتحرير التجارة.

ولكن هناك أحداث تاريخية ساعدت على بلوغ مفهوم العولمة وتكوينها بهذه الصيغة العالمية، منها: انهيار سور برلين، وسقوط الاشتراكية كقوة سياسية وإيديولوجية، وتفرد القطب الواحد بالسيطرة والتقدم التكنولوجي، وزيادة الإنتاج ليشمل الأسواق العالمية، والثورة المعلوماتية، وتطور وسائل الاتصال (الهاتف، والإنترن特)، والإعلام والمواصلات.

3 - أشكال العولمة:

• **العولمة السياسية** : وتعني سرعة انتشار الأحداث والأفكار والأخبار والسياسات والتشريعات التي تُشن بين الناس على الصعيد العالمي، وتقوم في أساسها على الحرية في صورها المختلفة، كحرية التفكير، وحرية التعبير، وحرية الاختيار، وحرية الاعتقاد، وحرية الانضمام إلى المنظمات السياسية، وحرية تشكيل الأحزاب، وحرية الانتخاب. إلا أن التحولات التي صاحبت عملية العولمة أدت إلى إضعاف الدولة في العديد من الميادين التي كانت حكراً عليها في الاقتصاد والتنمية الاجتماعية والتعليم والصحة؛ مما جعل الدول النامية أكبر ضحايا العولمة. ومن جهة أخرى فهي ترتبط أيضاً بمحاولات واشنطن فرض نموذجها الديمقراطي عالمياً في ظل القطبية الأحادية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية فيما يتعلق بالديمقراطية، واحترام حقوق الإنسان على الطريقة الأمريكية؛ إلى جانب ما تقوم به الشركات متعددة الجنسيات من أدوار سياسية خطيرة، وتفرض وجهات نظرها على الدول الضعيفة حتى القوية أيضاً، عبر آليات الضغط التي تملكتها، والمثال الأكثر رمزية، ما قامت به الشركة الأمريكية "I.T.T"(^(*)) التي أدت دوراً مهماً في الانقلاب العسكري الذي أطاح بالرئيس التشيلي المنتخب سلفادور ألبيندي⁽¹⁾.

^(*) هنا الرمز هو اختصار لشركة التلفون والتلغراف الدولية الأمريكية التي أطاحت بحكومة سلفادور الليندي في دولة تشيلي.

⁽¹⁾ ميشال بوغون، أمريكا التواليتارية، ترجمة سليمان أحمد خليل، بيروت، دار الساقى، الطبعة الأولى 2002، ص 248.

• العولمة الاقتصادية: وتعني حرية انتقال السلع، ورؤوس الأموال، والخدمات بين الدول من دون أي حدود، وتحدف هذه الحرية لزيادة الطلب والعرض على السلع والمنتجات وتوفيرها للسكان، مثل: (شركة تويوتا التي تصنع قطع السيارات في اليابان، وترسلها إلى أمريكا لتجميعها).

ويعرف بعضهم العولمة الاقتصادية بأنّها سيادة نظام اقتصادي واحد، يشتمل على دول العالم المختلفة في مجموعة علاقات اقتصادية متشابكة بعضها البعض. وتؤمن هذه العولمة الاقتصادية سيطرة الاحتكارات العالمية على الاقتصاد العالمي ونخبه. فالرأسمال المعمول الذي يملك الشركات متعددة الجنسيات يتحكم بالجزء الأكبر من الاقتصاد العالمي، ويفرض شروط النمو وظروفه على مستوى العالم. إن العولمة الاقتصادية والسياسية والثقافية المسيرة مركزياً من قبل الغرب هي شكل الاستعمار الجديد الذي يحول استقلال الدول وسيادتها إلى مجرد شيء شكلي فقط.

• العولمة الثقافية: تسعى العولمة إلى نقل الثقافات والأفكار إلى أنحاء العالم لخلق مجموعة من المفاهيم والمصطلحات الإنسانية المشتركة بين مناطق مختلفة؛ وبالتالي فإنّ العولمة تهدف إلى خلق عالم بثقافة تنشر شبيعاً فشيئاً في ثقافة دولة أكثر هيمنة من الناحية الفكرية والحضارية، ألا وهي ثقافة الغرب في وقتنا الحاضر، ومن مظاهر تأثير العولمة الثقافية في الهوية الثقافية للمجتمعات ما يأتي⁽¹⁾:

- التأثير اللغوي: استخدام لغة مرتبطة بالدولة المهيمنة كلغة أم، بحيث تنتشر هذه اللغة في المقررات الدراسية، وتُستعمل في وسائل الاتصال والإعلام والتحاطب اليومي.

- التأثير الخلقي: يتحلى في انتشار العنف والجنس في وسائل الإعلام المتنوعة، مثل: الأفلام، والصور، والفيديوهات على شبكة الإنترنت، والتلفاز؛ مما يؤدي إلى تدهور القيم الأخلاقية في المجتمعات العربية.

⁽¹⁾ ناهد العجة، تحدي العولمة، ترجمة محمد عبد الله صاصيلا، دمشق، دار طلاس، الطبعة الأولى 2008، ص 81..

- **التأثير القيمي:** تزايد محاولات نشر قيم واحدة على الصعيد العالمي في الموسيقا والملابس والأكل كالمهامبورغر والماكدونلز، والعلاقات الأسرية المتجهة نحو طغيان الفردانية... وطغيان ثقافة الاستهلاك الرأسمالي الذي يتواصل في تجده وتنوعه وإغراءاته.

د- أحداث أيلول 2001 في أمريكا وبروز محاربة الإرهاب الدولي:

شهدت الولايات المتحدة في 11/9/2001م أحداً خطيرة رمت معالم السياسة الأمريكية لسنوات عدة، حيث تعرضت لمجموعة من المجممات الإرهابية جرى فيها تحويل اتجاه أربع طائرات نقل مدنى تجارية وتوجيهها لتصطدم بأهداف محددة بحث في ذلك ثلاثة منها، تمثلت الأهداف في برجي مركز التجارة الدولية بمنhattan نيويورك، ومقر وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون). وسقط نتيجة لهذه الأحداث آلاف الضحايا.

الآثار المختلفة لأحداث أيلول:

شكلت أحداث أيلول نقطة تحول كبيرة في تاريخ الولايات المتحدة على الصعيد الداخلي والخارجي، وتعدي ذلك ليشمل العلاقات الدولية؛ خاصة منها ما يربط الغرب بالعالم العربي والإسلامي. ويمكن أن نورد بعض الآثار السياسية والاقتصادية والعسكرية التي نتجت عن أحداث أيلول:

- 1) - أصبحت الحرب على الإرهاب المحور الأول في العلاقات الدولية تحت ضغط الولايات المتحدة بعد أحداث 11 أيلول. ونظمت هذه الأخيرة حملة عسكرية على أفغانستان 2001، ثم قامت بغزو العراق بحجja محاربة الإرهاب 2003.
- 2) - أثارت الحرب على الإرهاب لإدارة الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش (ابن) اتخاذ قرارات من الصعب العمل عليها إلا في الحالات الاستثنائية في البلاد. فقد حصل من الكونغرس الأمريكي على كل الأموال التي طلبها من أجل برنامج الدفاع الصاروخي القومي، وتم إلغاء معاهدة الأنظمة الدفاعية المضادة للصواريخ

الباليستية، وحصل على زيادات كبيرة في الميزانية التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية؛

فضلاً عن تبني ما سُمي (مبدأ جورج بوش) الذي استند إلى العوامل الآتية⁽¹⁾:

- الحرب الاستباقية.

- الأحادية الأمريكية.

- استثنائية القوة الأمريكية.

- نشر الديمقراطية بالقوة.

مكنت هذه الأسس إدارة بوش من اتخاذ سياسات تدخلية في منطقة الشرق الأوسط.

(3) اقتصادياً: لا توجد آثار اقتصادية مباشرة وسلبية أدت إلى أزمة كبيرة في الولايات المتحدة؛ بل اقتصرت على إغلاق البورصة الأمريكية لأيام عدة، وبعض التأثيرات في شركات الطيران والسياحة وقطاع التأمين الأمريكي والعالمي.

(4) أدت الأحداث إلى تقليل الحريات بالنسبة للمواطنين الأمريكيين وللمقيمين الأجانب على حد سواء؛ من التفتيش والتقصّت الإلكتروني، وغيره من الوسائل الحديثة لمتابعة أي شخص بدقة.

(5) التداعيات الثقافية والفكيرية: أظهرت هذه الأحداث أن الجانب الثقافي يحظى بأهمية كبيرة جداً باستراتيجية الولايات المتحدة؛ إذ اشتملت هذه الاستراتيجية على إعادة ترتيب المنطقة من خلال مشاريع عده، أهمها: الحرب على الإرهاب وتجحيف منابعه ونشر الديمقراطيات. وبينت ماهية التحولات الكبيرة على المستويين الثقافي والفكري لدى الأمريكيين والغرب بصورة عامة، حيث أدت إلى ظهور ما يعرف بمصطلح "صراع الحضارات"، وأصبح الإسلام من خلال هذه النظريّة يمثل عدواً رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية والذي برأيهم حل محل الشيوعية، وهو الأمر الذي انعكس فكرياً وثقافياً على صورة المسلمين والعرب ومجتمعهم في الولايات المتحدة وبقية دول العالم.

⁽¹⁾ محمد علي سرحان، أمريكا العالم في الشرق الأوسط وأسيا الوسطى، دمشق، دار الأوائل للنشر، الطبعة الأولى 2007، ص 56.

(6) - قبل هجمات 11 أيلول كانت الأزمات السياسية تحمل عبر الأجهزة الدولية أو الدبلوماسية. لكن بعد الأحداث أصبحت الجوانب العسكرية تعتمد على مبدأ جديد وهو "الحرب الوقائية" التي اعتمدت على الضربات المباغطة دون انتظار الأدلة المؤكدة على عدائية الطرف المستهدف.

وكان وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد قد صرخ في اجتماع مهم للحلف الأطلسي في بروكسل عام 2002 بأن: "الحلف لا يمكنه أن ينتظر الدليل الدامغ حتى يتحرك ضد المجموعات الإرهابية، أو الدول التي تملك أسلحة كيماوية أو بيولوجية أو نووية". وكان هذا التصريح تمهدًا لغزو العراق عام 2003 وضربة وقائية حسب المفهوم الجديد لل استراتيجية العسكرية الأمريكية.

دلائل ومؤشرات عن أحداث 11 أيلول 2001:

إن تداعيات أحداث أيلول ونتائجها على السياسة الأمريكية داخلياً وخارجياً تدفعنا للتساؤل ووضع علامات استفهام حول المنفذ والمدبر الحقيقي لأحداث 11 أيلول، فالفاعل الرئيس لها لابد أن يكون هو نفسه المستفيد من نتائجها وتداعياتها، حيث قامت الحكومة والمخابرات الأمريكية بمجموعة من التدابير السياسية والعسكرية في مناطق مختلفة من العالم تسهم بشكل مباشر أو غير مباشر في تحقيق الخطط والسياسات الأمريكية الرامية للسيطرة على منابع النفط والمناطق الاستراتيجية في العالم، وتحقيق انتشارٍ واسعٍ للقوات الأمريكية في مناطق وبؤر التوتر القريبة جغرافياً من مناطق نفوذ القوى العظمى الأخرى المناوئة للولايات المتحدة، بما يحقق لأمريكا القدرة على تقليل نفوذ هذه القوة في هذه المناطق.

وهنا لا بد لنا من تقديم بعض الأدلة والبراهين التي توسيع لأصحاب هذا الاتجاه طرح السؤال المتعلق بالفاعل الحقيقي لأحداث أيلول، منها⁽¹⁾:

⁽¹⁾ هشام كمال الدين عبد الحميد، 11 سبتمبر صناعة أمريكية، دمشق، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 2006، ص 96.

1) - الإجراء المتبوع عند خروج الطائرات عن مسارها هو اعتراض الطائرات في الجو من قبل الطائرات المقاتلة وإسقاطها أو إسقاطها على الهبوط، ويتم هذا الأمر خلال دقائق معدودة. ولكن ما حدث في 11 أيلول أمر مختلف تماماً عن ذلك، ويدعو للدهشة فالطائرة الأولى طارت في الأجواء الأمريكية لمدة 46 دقيقة، والثانية طارت لمدة 51 دقيقة، والثالثة طارت لمدة 80 دقيقة، والرابعة لمدة ساعة ونصف دون أن يتم اعتراض الطائرات.

2) - وجه العديد من الخبراء العسكريين والسياسيين والصحفيين والكتّاب في العالم وفي الولايات المتحدة؛ فضلاً عن العديد من نواب الكونغرس الأمريكي الاتهامات صراحة وتلميحاً للمسؤولين الأمريكيين بتدبير أحداث أيلول 2001 أو التخطيط لها وتنفيذها. حيث أكد المفكر الفرنسي روجيه غارودي أن عملية 11 أيلول ليست إلا مؤامرة أو خيانة عظمى توطأت فيها أجهزة الدولة والجيش والمخابرات الأمريكية. ووصف مايكل ميتشر وزير البيئة البريطاني السابق العملية كلها بأنها مؤامرة أمريكية تم تفويتها لتحقيق أهداف أمريكية سياسية استراتيجية واسعة النطاق. وبعد أسبوع واحد من هجمات 11 أيلول وجه لنلن لاروش مرشح الرئاسة الأسبق عن الحزب الديمقراطي الأمريكي الاتهام للحكومة الأمريكية بقيادة بوش، عندما قال: إن هذه العملية لم تقم بها أي قوة من خارج الولايات المتحدة؛ بل هي قوى موجودة داخلها.

3) - عرقلت الأجهزة الاستخباراتية الأمريكية عمل العديد من لجان التحقيق التي تم تشكيلها من الكونغرس الأمريكي ومجلس النواب، ومارست العديد من الضغوط على المراقبين الجويين والعسكريين، ومسئولي شركات الطيران ومدارس الطيران الخاصة لعدم الإدلاء بأي تصريحات للصحف أو الإذاعات العالمية والقنوات الفضائية.

4) - إن طريقة تصميم برجي مركز التجارة العالمي، وعملية احتيار البرجين بالطريقة التي حدث بها(الاحتياط العمودي)، وفي هذه المدة الزمنية القصيرة جداً شبه مستحيلة من

الناحية العملية والعلمية، بحسب تصريحات المهندسين الذين قاموا بتصميم الأبراج، فهي مصممة بطريقة تقاوم الأعاصير والرياح العاتية، والتغيرات الداخلية واصطدام الطائرات بها.

5) من الأمور التي أثارت الكثير من الشكوك لدى جهات التحقيق، قيام المسؤولين الأمريكيين برفع أنقاض المباني المنهارة وإزالتها قبل حضور لجان التحقيق للمعاينة، وأخذ عينات من الأنقاض لفحصها، ومعرفة الأسباب الحقيقة التي أدت إلى عمليات الانهيارات. حيث صرَّح الأستاذ المتخصص "أستانه أسل" الأستاذ بجامعة "بيركلي" أمام اللجنة العلمية في مجلس النواب بواشنطن أنه كان من الممكن خدمة التحقيق بالاحتفاظ بأجزاء أساسية من الهيكل الصلب، وإرسالها لجهات التحقيق في الوقت المناسب⁽¹⁾.

6) يعمل في مركز التجارة العالمي الذي تم تدميره برجيه بالطائرات حوالي 4000 يهودي بمجموعة من الشركات اليهودية الأمريكية، التي تعد أكبر الشركات في نيويورك وأغناها، وإنحدر هذه الشركات هي شركة أوديجيو الإسرائيلية التي لها طابقان بمراكز التجارة العالمي، حيث حذرت هذه الشركة موظفيها ودعتهم إلى مغادرة المبنى لاحتمال تعرضه لهجمات قبل الأحداث بساعتين، وهو ما دعاهم للمغادرة؛ وبالتالي عدم وقوع ضحايا منهم. يضاف إلى ذلك إلقاء القبض على مجموعة من الإسرائيليين ثبتت علاقتهم بالموساد الإسرائيلي وهم يلتقطون صوراً بالفيديو للطائرات وهي تضرب مبني مركز التجارة قبل وصول الطائرات، وفي أثناء عملية الهجوم مباشرة، وهو ما يعني أنهم كانوا على علم مسبق بموعِد بحْيِ الطائرات.

7) بعد ساعات من الهجمات تناقلت وسائل الإعلام الأمريكية تصريحات بعض المسؤولين الأمريكيين من الاستخبارات الأمريكية ومكتب التحقيقات الفيدرالي باهتمام تنظيم القاعدة بتدمير الطائرات قبل إجراء أي تحقيقات في الموضوع. ولم تمر ثلاثة

(1) السيد ولد آبيه، عالم ما بعد 11 سبتمبر والإمبراطورية الأمريكية، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى 2004، ص 161.

أيام على الهجمات حتى أعلن مكتب التحقيقات أنه توصل إلى أسماء الجناة التسعة عشر. ولكن كانت المفاجأة عندما اكتشف أن سبعة من الأسماء المعلنة من مكتب التحقيقات كانوا في عداد الموتى قبل الهجمات.

ومن وجهاً نظر سياسية خالصة ليس مهمًا هل أن المخابرات الأمريكية والإسرائيلية دبرت أحداث / 11 / أيلول ، أو أن القاعدة قامت بها ، وهي أصلًاً منظمة إرهابية أنشأتها المخابرات الأمريكية، المهم هو أن أحداث / 11 / أيلول خدمت السياسة العدوانية الأمريكية، وفتحت أمامها أبواب العالم لتفعل فيه ما تريد.

ولاشك في أن هجمات أيلول 2001 وبعدها غزو أفغانستان والعراق ما هي إلا حلقة وفصل من فصول المؤامرة الأمريكية-الصهيونية على العالم، وتنفيذ خطوات المشروع الأمريكي للقرن الحادي والعشرين، ومشروع الشرق الأوسط الكبير، والمشروع الصهيوني الذي رسمه "صموئيل هنتغتون" لتفتيت دول العالم، وإعادة رسم خريطة على أساس عرقية ودينية يسهل إشعال الصراعات والنزاعات فيما بينها، ومن ثم السيطرة والهيمنة عليها وعلى مقدراتها وثرواتها وقيمها وثقافتها وحضارتها.

الحقيقة أن الولايات المتحدة كانت تريد "حرباً على الإرهاب" كذرعية للعدوان على العالم؛ لذا كان عليها أن تخلق هذا الإرهاب قبل كل شيء، وأن تستخدمه وتعيد استخدامه كيما ت يريد. وتدرك الولايات المتحدة نفسها بأن (مبدأ بوش) القائل بالضرر الاستباقي في إطار الحرب المزعومة على الإرهاب ليس مقبولاً لدى المجتمع الدولي، فهي لم تتمسك به البتة أمام مجلس الأمن؛ بغية توسيع غزوها للعراق في 20/3/2003. ولم يقتصر خطاب الدفاع عن النفس على الفكرة الاستباقية، وبات يضم جملة من المفاهيم والمبادئ الأخرى من قبيل حقوق الإنسان، والتدخل الإنساني والديمقراطية. وقد جرى تحويتها عن مقاصدها الأصلية. لذا فإن الإرهاب ليس من السهل تعريفه وتحديده، وهذا ما دعا إلى استثنائه من اختصاص المحكمة الجنائية الدولية. ففي سنة 1972 دعت منظمة الأمم

المتحدة إلى إضافة لفظ دولي إلى لفظ إرهاب؛ وبالتالي أصبح المصطلح "الإرهاب الدولي".

هـ- الأزمات المالية العالمية:

شكلت الأزمة المالية العالمية في 2008 حلقة جديدة من أزمات أصابت النظام الرأسمالي العالمي في العقود الأخيرة. ففي عقد التسعينيات وحده شهد الاقتصاد العالمي أزمات عدّة في الاتحاد الأوروبي (بريطانيا وإيطاليا والسويد والنرويج وفنلندا) وفي عامي 1992-1993، وفي عامي 1997-1998 اندلعت أزمة مالية شاملة في بلدان جنوب شرق آسيا (كوريا الجنوبية وتايلاند وأندونيسيا والفلبين)، وغيرها من الدول في العالم كالملكسيك والبرازيل.

ولكن تختلف أزمة 2008 عن سابقاتها سوء من حيث العمق أو الاتساع بحيث شملت الاقتصاد العالمي كله؛ بل عدّت أعنف أزمة تعصف بالرأسمالية كنظام اقتصادي - اجتماعي منذ أزمة "الكساد العظيم" التي ضربت الاقتصاد العالمي في مطلع ثلثينيات القرن الماضي. إذا ما أخذنا في الحسبان الشوط الكبير الذي قطعه عولمة الاقتصاد العالمي، ومدى تشابك اقتصadiات بلدان العالم وتكاملها، وكذلك التطور الهائل في وسائل الاتصال المفترن بشورة المعلوماتية؛ الأمر الذي سهل مجالات انسياط رؤوس الأموال عبر العالم ووسعها على نحو لم يسبق له مثيل؛ مما أسهم في نشوء النظام المالي العالمي الراهن وتطوره.

أسباب الأزمة:

تحدث الأزمة المالية عادة نتيجة إخفاق الجهاز المالي وتراجع مستوى أدائه، ويعبر عنها بخسائر مالية كبيرة، وانهيار المؤسسات المالية، وفقدان الثقة بالجهاز المالي. ويرى بعض الخبراء أن أهم أسباب الأزمة يتمثل بالآتي:

- 1)- إنفاق الحكومة الأمريكية أكثر من 3 تريليون دولار على حروتها المتنقلة.
- 2)- فوائض الدول ذات الميزان التجاري الفائض، مثل: الصين وروسيا واليابان.

(3) - فوائض الدول النفطية الناجمة عن زيادة أسعار النفط، فاستمرت جزءاً منها في بلدانها، وتوجه الجزء الأكبر للاستثمار في الخارج.

لقد جمعت الأزمة المالية العالمية هذه العناصر كلها؛ لتصبح خطراً يهدد الاقتصاد العالمي والاقتصاد الأمريكي الذي يمثل نحو 40% من اقتصاد العالم. على اعتبار أن الأزمة المالية ترافق مع بعض الظواهر، مثل: نقص السيولة، وقيام بعض الشركات بإلغاء بعض مشروعاتها وتسريح العمال؛ وبالتالي ارتفاع نسبة البطالة (ارتفعت البطالة في الولايات المتحدة الأمريكية من 4,9% إلى 9,8% بدءاً من 2008 إلى 2009)⁽¹⁾؛ إلى جانب انخفاض شراء المنتوجات من السلع والخدمات، والانخفاض الإنتاج (انخفاض في ألمانيا بنسبة 3,8% وفي إيطاليا بنسبة 4,2% في عام 2009)⁽¹⁾.

تداعيات الأزمة العالمية على اقتصادات الدول العربية:

تضررت الدول العربية وخاصة المصدرة للنفط بالأزمة في مجالات مختلفة، منها:

(1) - أضررت الأزمة بالاستثمارات العربية في الخارج، لاسيما الولايات المتحدة وأوروبا؛ مما أدى إلى انخفاض قيمة الممتلكات المستثمرة في الخارج.

(2) - تأثرت الأسواق المالية العربية (البورصات) تأثيراً كبيراً، لا سيما في دبي والكويت وال السعودية....

(3) - انهيار أسعار النفط الخام حيث انخفضت الأسعار إلى أقل من الثلث تقريباً خلال فترة قصيرة. وانخفاض الإيرادات من تصدير النفط.

(4) - تراجع معدلات النمو في الاقتصادات العربية عام 2009، والذي أدى إلى رفع معدلات البطالة بنسبة تفوق 14%.

(5) - تراجع فرص العمل وتآثر التجارة العربية وانخفاض السيولة.

⁽¹⁾ الأزمة الاقتصادية العالمية، ندوة اقتصادية مشتركة بين كلية الاقتصاد في جامعة دمشق وكلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال الجامعية اللبنانيّة، دمشق، جامعة دمشق، الطبعة الأولى 2010، ص 40.

● الاشتراكية:

تمثل اتجاهًا فكريًا استند إلى نقد المجتمع البرجوازي، وكانت تعبيرًا عن حركة سياسية واجتماعية هدفها الإصلاح والنفوذ، وكانت تشير إلى نظام اقتصادي واجتماعي مثالي يحل محل الرأسمالية ويغلب على عيوبها. وتقوم الاشتراكية على الملكية الاجتماعية لوسائل الإنتاج، والتي تعود فيها ملكية وسائل الإنتاج للمجتمع بكامله، والتنسيق المخطط لل الاقتصاد. وبذلك تؤدي الدولة وفقاً لهذا المفهوم دوراً رئيساً في عمليات الإنتاج والتوزيع والتنظيم.

● الاقتصاد المقاوم:

هو مصطلح إيراني بحت لم يتحدث عنه أي من المفكرين الاقتصاديين، ولم تتبّعه أية دولة أخرى، بشكّله العلمي على مستوى العالم سوى إيران، فقد استخدم المرشد الأعلى للثورة الإسلامية "علي خامنئي" مصطلح الاقتصاد المقاوم للمرة الأولى في عام 2010.

هو الاقتصاد الذي يمكن من خلاله بلد ما يتعرّض لضغوط سواء أكانَت هذه الضغوط ناتجة عن فرض عقوبات اقتصادية عليه أم ظروف غير مؤاتية نتيجة العلاقات المتورطة مع الدول الأخرى، بالاعتماد على إنتاجه المحلي وخبراته الداخلية من تأمين بنية تحتية قوية لدعم النمو والتطور الاقتصادي.

● الأرستقراطية:

هي أحد أشكال الحكم، يحكم فيه أكثر من شخص، ولكن ليس كثيراً من الأشخاص، وقد كانت الأرستقراطية حكم الأقلية الفاضلة، ولكنها انحرفت لتصبح مجرد حكم الأقلية عندما أصبحت هدفها الاهتمام بمصالح الأغنياء فقط.

وبذلك، أصبحت الأرستقراطية تشير إلى الأقلية الغنية من أصحاب النفوذ المؤثرين أو النبلاء. والأرستقراطيون هم نخبة بالوراثة، فهم يرثون امتيازاتهم عبر الأجيال.

● الأصولية:

إن الأصولية، أيًّا كانت سماتها الدينية، مسيحية أو إسلامية أو يهودية أو أية ملة أخرى، فهي تدافع عن حقيقة لاهوتية ماضوية، فتعجز عن التعامل مع الوضع الراهن.

عرفها قاموس "لاروس الصغير" عام 1966 بأنها: " موقف أولئك الذين يرفضون تكييف عقيدة مع الظروف الجديدة ..".

وفي قاموس "لاروس الكبير" عام 1984، فهي: " موقف جمود وتصلب، معارض لكل نمو أو لكل تطور.. مذهب محافظ متصلب في موضوع المعتقد السياسي ..".

● الأقلية أو الأغلبية:

الأغلبية هي الأكثرية، وهي مصطلح شائع في الحياة السياسية الديمقراطية، وتعني النزعة أو التوجه الأعم للناخبين في اقتراع ما.

الأقلية المطلقة: تعد أكثر أنواع الأقلية شيوعاً لاعتمادها في كثير من الأنظمة السياسية، وتعني الحصول على ما فوق نصف عدد الأصوات ولو بصوتٍ واحد، ومن ذلك جاء التعبير الشهير: (50+1).

الأقلية النسبية: تتحقق الأقلية النسبية لقوة سياسية معينة إذا حصلت على أعلى نسبة من المقاعد في الانتخابات مقارنة بكل منافس لها على حدة.

الأقلية المؤهلة: هي أقلية تُمكّن من تمرير قوانين أو تعديلات تهم الحياة العامة، تكون عادة مرهونة بعتبة معينة، فتمرير التعديلات الدستورية في البرلمان في بعض الدول، يتطلب أغلبية الثالثين. وفي مجلس الأمن الدولي، يُشترط لتمرير أي قرار حصوله على أصوات تسعة أعضاء من أصل 15، مع شرط إضافي هو ألا ت تعرض أي من الدول الخمس دائمة العضوية على القرار.

● Brexit :

وهي عبارة عن دمج للكلمتين الإنجليزيتين *British Exit*، أي "بريطانيا وخروج"، وهو مصطلح يستخدم لوصف عملية خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي.

● التنمية البشرية:

إن مفهوم التنمية البشرية كما قدمه البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة في عام 1990، وكما صقله في تقاريره المتواالية منذ ذلك العام، هو مفهوم يجمع بين توسيع الخيارات والفرص المتاحة للناس، وأهمها (أن يحيى الناس حياة طويلة وحالية من العلل، وأن يتعلموا، وأن يكون بوسعهم الحصول على الموارد التي تكفل لهم مستوى كريماً للمعيشة)،

وبين تطوير التنظيم المختتمي بما يسمح للبشر بتطوير طاقاتهم وتنمية قدراتهم من جهة، وبما يمكنهم من الانتفاع بما يتيح لهم من خيارات وفرص، وذلك دون إهانة حق الأجيال التالية في الحصول على نصيب عادل من الموارد الطبيعية والمادية المتاحة من جهة أخرى.

● التنمية السياسية:

للتنمية السياسية تعريف متعددة، ويمكن تعريفها من خلال خمس دلالات:

1. دلالة قانونية: تقتضي بالبناء الدستوري للدولة؛ بمعنى الأسس الديمقراطية بكل أبعادها.
2. دلالة اقتصادية: تعني تحقيق نمو اقتصادي يتوافق وتطلعات المواطنين الاقتصادية وحالاتهم.
3. دلالة إدارية: تعني ضرورة وجود إدارة مواطنة ملتزمة باحترام مبادئ المشروعية الإدارية والقانونية مع تحقيق شروط الفاعلية والكفاية والعقلانية.
4. دلالة سياسية: بمعنى تحقيق الانصهار في منظومة مجتمعية، والمشاركة في الحياة السياسية.
5. دلالة ثقافية: فالتنمية عبارة عن تحديث يأتي نتيجة لثقافة سياسية معينة.

● التوجه شرقاً:

إن المقصود بالتوجه شرقاً هو تدعيم العلاقات مع الدول الواقعة في شرق قارة آسيا والمحيط الهادئ، وبخاصة الدول التي أحرزت تقدماً وفروأ اقتصادياً، مثل: دول التigers الآسيوية، ودول الآسيان، والصين، والهند، واليابان؛ فضلاً عن دول أمريكا اللاتينية وإفريقية، بحيث تكون تلك العلاقات قائمة على أسس اقتصادية؛ بهدف الاستفادة من تجارب تلك الدول، ومن تقدمها العلمي والتكنولوجي، وأسواقها.

تحذر الإشارة إلى أن التوجه شرقاً وإيجاد أسواق جديدة لا يعني الأسواق الأخرى، ولا يشترط أن يتم على أنماط علاقات أخرى؛ أي ليس الهدف البحث عن سوق بديلة؛ بل يشتمل في معناه الحفاظ إلى حد ما على العلاقات مع الغرب، وتوسيع الخيارات والتوجه في الأسواق بما يخدم مصلحة الاقتصاد الوطني.

● الحرب الإلكترونية:

تعني قيام دولة أو فواعل من غير الدول بشن هجوم إلكتروني في إطار متبادل، أو من قبل طرف واحد. وبرغم انتشار مسمى "الحرب الإلكترونية" إعلامياً، فإنه يعد مصطلحاً قد يأكّن بالأساس مقصوراً على رصد حالات التشويش على أنظمة الاتصال، والردار، وأجهزة الإنذار.

● الحرب السيبرانية:

مع تعدد الأعمال العدائية الإلكترونية إلى البنية التحتية المعلوماتية للدول لتحقيق أغراض متداخلة (سياسية، واقتصادية، وإجرامية، وغيرها)، حمل مفهوم الحرب الإلكترونية أبعاداً جديدة، وصار بعضهم يفضل مصطلح "الحرب السيبراني".

● الحكومة الإلكترونية:

هي منظومة إلكترونية متكاملة تهدف إلى تحويل العمل الإداري العادي من إدارة يدوية إلى إدارة باستخدام الحاسوب، وذلك بالاعتماد على نظم معلوماتية تساعد على اتخاذ القرار الإداري بأسرع وقت وأقل كلفة. ويشير هذا المصطلح إلى استخدام المؤسسات الحكومية لتقانة المعلومات كوسيلة اتصال وتفاعل أساسية من خلال استخدام الوسائل الإلكترونية مثل الهاتف والفاكس والبريد الإلكتروني والإنترنت، بما يضمن زيادة سرعة تقديم الخدمات ورفع كفاءة المؤسسات الحكومية وفعاليتها.

● الدوغمانية أو الدوغماتية:

وهي تعني حالة مغالبة من الجمود الفكري، وهي تعصب حاد لفكرة معينة مع رفض الاستماع للأفكار المخالفة كافة، ورفض مناقشة أي دليل مضاد لفكرته عند توفره، وذلك ليهانأً من أصحابها أنهم يتلذون الحقيقة المطلقة، وما سواهم من الأشخاص والأفكار باطل لا يستحق حتى المناقشة. وتكون أغلب أفكار الدوغمائيين في الجوانب الدينية أو السياسية.

● الديموقراطية السيادية:

مفهوم "الديمقراطية السيادية" يعني أن الحلول الديموقراطية ينبغي أن تلائم المجتمع لا أن تكون مستوردة من الخارج ومطبقة تطبيقاً أعمى. وقد استخدم هذا المصطلح لأول مرة

نائب رئيس الأركان الروسي "فلاديسلاف سوركوف" في عام 2006، ويقوم على أن "شكل الديمقراطية الملائم للمجتمع الروسي ، يتمثل في أن تضطلع الدولة بالدور الرئيس في إدارة الاتصال إلى الديمقراطية، بما يضمن ألا يؤدي التحول الاجتماعي الناتج إلى الفوضى والصراع؛ بل أن يحافظ على الاستقرار الاجتماعي والإصلاح الاقتصادي.

• القوة السييرانية:

عرفها جوزيف ناي بأنها "مجموعة الموارد المتعلقة بالتحكم والسيطرة على أجهزة الحاسوب والمعلومات، والشبكات الإلكترونية، والبنية التحتية المعلوماتية، والمهارات البشرية المدرية للتعامل مع هذه الوسائل".

• الأمم المتحدة:

هي منظمة دولية أنشئت في 24 تشرين الأول عام 1945؛ بهدف تعزيز التعاون بين الدول على اختلاف أجناسها وقومياتها ومذاهبها الدينية؛ ولتحقيق الأمن والسلم الدوليين، وت تكون من 193 دولة عضواً، وتبع الأمم المتحدة لأعضائها منتدى للتعبير عن وجهات نظرهم من خلال الجمعية العامة ومجلس الأمن والمجلس الاقتصادي والاجتماعي وغيرها من الأجهزة واللجان. ومن خلال تيسير الحوار بين أعضائها، كذلك أصبحت المنظمة آلية للحكومات لإيجاد مجالات ل الاتفاق وحل مشاكلها مع بعضها بعضاً.

تمثل الأجهزة الرئيسية للأمم المتحدة في الجمعية العامة، و مجلس الأمن، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي، و مجلس الوصاية، ومحكمة العدل الدولية، والأمانة العامة للأمم المتحدة.

• الأوتوقراطية (الفردية):

مصطلح يقصد به نظام الحكم الذي تكون فيه السلطة مركزة في يد فرد واحد يمتلك وحده كل السلطة التي لا يحدوها شيء، وهذا لا يعني دائماً غياب القوانين والدستور في هذا النظام، ولكن يعني بالأساس قدرة الحاكم الأوتوقراطي (الفرد) من الناحية الواقعية على تحطيم القوانين والدستور حتى في حالة وجودها.

إن نظام الحكم الأوتوقراطي هو النظام الذي يمثل أقصى درجات تدهور نظام الحكم المطلق وفساده وتطرفه.

● الإرهاب:

ظهرت كلمة إرهاب في مرحلة الثورة الفرنسية وتحديداً في 5 أيلول عام 1793. عرفه القاموس الإنكليزي "أكسفورد" بأنه: "سياسة أو أسلوب يعد لإرهاب المناوئين أو المعارضين لحكومة ما. أي هو استخدام العنف والتخييف بصفة خاصة لتحقيق أغراض سياسية، كما أن كلمة إرهابي تشير بوجه عام إلى أي شخص يحاول أن يدعم آراءه بالإكراه أو التهديد أو التروع".

عرفته المادة الأولى من الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب التي أقرت في 22 آب عام 1998 بأنه: "كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أياً كانت بوعنه أو أغراضه يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين نفوس الناس، أو تروعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حرمتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأموال العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر".

● الإمبريالية:

الإمبريالية مشتقة من الكلمة *Empire* اللاتينية، وهي تعني كل سياسة توسيعية تهدف إلى إنشاء إمبراطورية، كما تعني كل منظومة فكرية توسيع تحسيد ذاك الهدف. هذا المفهومأخذ في التداول والتجسد على أرض الواقع منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وذلك نتيجة للتنافس بين القوى الكبرى حول امتلاك "فضاءات حيوية"، وهو ما أدى منذ أواخر القرن(19) وببداية القرن العشرين إلى اقتسام العالم بين أقطاب النظام الرأسمالي بتسويغات وذرائع مختلفة حضارية إنسانية ودينية عنصرية.

● الإنجلجنسيا (المثقفون):

هي مصطلح ذو مدلول تاريخي - اجتماعي يشير إلى المتعلمين تعليماً عالياً وحديثاً، والذين يتسبون إليها هم طبقة اجتماعية تشارك في عمل ذهني معقد يهدف إلى التوجيه والنقد والتقويم، أو تأدية دور قيادي في تشكيل ثقافة المجتمع وسياساته.

● البرجوازية:

البورجوازية طبقة اجتماعية ظهرت في أوروبا أواخر القرون الوسطى، وتعززت مع الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر، وتوسيط طبقة النبلاء وطبقة الفلاحين الفقيرة، وارتبط وجودها بالمدينة نظراً لنشأتها في هذه التجمعات السكانية المتميزة عن الوسط القروي الذي كان هو مجال النشاط الاقتصادي الرئيس. وهي الطبقة المالكة لوسائل الإنتاج ورأسمال الخدمات .

● البروليتاريا:

هو مصطلح سياسي يطلق على طبقة العمال الأجراء الذين يشتغلون في الإنتاج الصناعي، ومصدر دخلهم هو بيع ما يملكون من قوة العمل. وبهذا، فهم يبيعون أنفسهم كأي سلعة تجارية، وهذه الطبقة تعاني من الفقر نتيجة الاستغلال الرأسمالي لها، وتحمّل جميع أعباء المجتمع دون التمتع بمميزات مكافحة لجهودها.

● البيروقراطية:

تعني "حكم المكتب" أو "سلطة المكتب"، وعرفها "ماكس فيبر" بأنها: "تنظيم المكاتب الذي يتبع مبدأ هيكلية المكاتب؛ أي إن مكتباً صغيراً في السلطة والصلاحيّة يتبع مكتباً أعلى منه، والمكتب الأعلى منه يتبع مكتباً آخر أعلى منه وهكذا". كما تعرف بأنها: "إساءة استعمال السلطة، والتمسك بحرفية الإجراءات والمماطلة في إنجاز الأعمال، وكل ما يتصل بها هو سيئ في ممارسات الأجهزة الحكومية".

● التعددية الحزبية:

هي إحدى مكونات الديمقراطية، ويعود أصلها إلى المفكرين الغربيين، مثل: لووك ومونتسكيو، ويقصد بها حرية إنشاء الأحزاب السياسية والانتماء إليها، أو هي وجود أحزاب سياسية متعددة في مجتمع معين، والاعتراف بها من قبل النظام السياسي، وتقبل مسانتها في الحياة السياسية عن طريق الوصول إلى السلطة أو المشاركة فيها.

● التكنوقراطية:

التكنوقراط مصطلح سياسي نشأ مع اتساع الثورة الصناعية والتقدم التكنولوجي في بداية القرن العشرين، وتطور كحركة في الولايات المتحدة الأمريكية بعد حالة الكساد الاقتصادي (1929-1933).

التكنوقراط كلمة مشتقة من كلمتين "تكنو" و"قراط" وتعني حكم التقانيين، وتمثل بذلك النخب المثقفة الأكثر علمًا وتخصصاً في مجال المهنة المنوط بها، وتكون غير مرتبطة بتكتل سياسي أو انتماء حزبي.

● الحرب الباردة:

هي صراع غير مباشر يحدث بين الدول الكبرى، وله العديد من الأشكال مثل مواجهة سياسية وإيديولوجية وأحياناً عسكرية بشكل غير مباشر، وقد تم استخدام مصطلح الحرب الباردة لأول مرة من قبل الكاتب الإنجليزي جورج أوروويل في أحد مقالاته التي نشرها عام 1945.

دارت أحداث الحرب الباردة في الفترة 1947 - 1991 بين أكبر قوتين في العالم بعد الحرب العالمية الثانية، وهما: الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي، وكان من مظاهرها انقسام العالم إلى معسكرين: شيوعي تزعّمه الاتحاد السوفييتي، ولiberالي تزعّمه الولايات المتحدة الأمريكية.

● الحرب غير المتكافئة:

راج مصطلح "الحرب غير المتكافئة" (أو غير المتماثلة) على الصعيد الدولي في عام 1989.

إن الحرب غير المتماثلة لا تشير إلى تلك الحرب التي تتشبّه بين دولتين غير متكاففتين في عوامل القوة فحسب؛ وإنما المقصود بها تحديداً الحرب التي يكون أحد طرفيها دولة، والطرف الآخر فاعل غير حكومي قد يكون تنظيماً أو حزباً أو حركة، ولا يستخدم طرفاها أدوات واستراتيجيات القتال نفسها، ولا تخضع لمعايير التوازن السائد، وإن وجد مسرح عمليات محدد بمساحة جغرافية معينة يلتقي فيه المتحاربون، ويستخدم كل طرف أسلحة غير متماثلة، وقد يستمر هذا النوع من الحروب لعقود طويلة من الزمن،

كما أن الخطط المستخدمة في هذا النوع من الحروب تكون خارج نطاق التصور، وعمليات الطرف الضعيف (الفاعل غير الحكومي) تخيط بها أقصى درجات المحاطرة، وتتم في سرية شديدة، ويختلط فيها ما هو مادي بما هو نفسي.

• الحرية:

عرفها إعلان حقوق الإنسان الصادر في عام 1789 بأنها: "حق الفرد في أن يفعل ما لا يضر الآخرين".

في حين عرفتها الموسوعة العربية العالمية بأنها: "الحال التي يستطيع فيها الأفراد أن يختاروا ويقرروا ويفعلوا بمحض إرادتهم، دون أية ضغوط من أي نوع عليهم".

• الحزب السياسي:

هو كل تجمع بين أشخاص يؤمنون ببعض الأفكار السياسية، ويعملون على انتصارها وتحقيقها، وذلك بجمع أكبر عدد من المواطنين حولها، والسعى للوصول إلى السلطة أو على الأقل التأثير في قرارات السلطة الحاكمة. والحزب يتطلب ثلاثة شروط ، فكري وتنظيمي وحركي.

• الحقوق السياسية:

هي الحقوق المقررة للأفراد المواطنين تجاه شؤون دولتهم، والتي يمكن لهم بموجبها المساهمة في إدارة شؤون بلادهم والمشاركة في صنع القرار. وهذه الحقوق يقرّها الدستور والقانون .

• الحكم المطلق:

هو نظرية سياسية وشكل من أشكال الحكم، يكون فيه لشخص واحد السلطة والسيطرة الكاملة غير المحدودة على الدولة، والحكم غير المقيد بالقواعد القانونية أو التقاليد أو الادعاءات المنافسة للمؤسسات السياسية أو الاجتماعية الأخرى.

• الدعاية السياسية:

هي محاولة التأثير في الرأي العام، وتوجيهه سلوك المجتمع أو المجتمعات، وهي اللغة السياسية الموجهة للجماهير، والتي تستعمل رموزاً وكلمات خاصة وهدفاً دعائياً للتأثير في موقف الجماهير إزاء قضية أو قضايا معينة.

• الديكتاتورية:

هي أحد أشكال أنظمة الحكم، وتعد تحسيناً للنظام الفردي، وقد وجدت جذورها التاريخية في النظام الروماني القديم. فهي مصطلح سياسي، يوصف به نظام الحكم الذي تتركز فيه السلطة بيد حاكم فرد، يتولى السلطة عن غير طريق الوراثة، وبطريقة القوة، أو يتولاها بطريقة ديمقراطية تفضي فيما بعد إلى تركيز السلطة بيده. يمارسها بحسب مشيئته، ويهيمن على السلطتين التشريعية والتنفيذية، ويتتحكم بالقرارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية من دون أن يخضع لأية رقابة على أداء نظامه أو معارضة سياسية في المجتمع.

• الديموقراطية:

كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية "ديموس" تعني عامة الشعب، و"كراتوس" وتعني حكم، وبذلك فهي تعني حكم عامة الشعب. والديمقراطية بمفهومها العام هي العملية السلمية لتداول السلطة بين الأفراد أو الجماعات، والتي تؤدي إلى إيجاد نظام اجتماعي مميز يؤمن به، ويسير عليه المجتمع ككل على شكل أخلاقيات اجتماعية تتمحور حول الإيمان بحرية الفرد وسيادة الشعب والمساواة القانونية والمشاركة السياسية والتداول السلمي للسلطة والانتخاب الحر.

• الراديكالية:

وهي تعريب للكلمة الإنجليزية "Radicalism" وأصلها كلمة "Radical" التي تعني باللغة العربية "أصل" أو "جذر"، ويقصد بها عموماً العودة إلى الأصول والجذور والتمسك بها والتصرف أو التكلم وفقها. ولكنها أصبحت تشير فيما بعد إلى العكس وإلى التغيير، ولكن التغيير عموماً بشكل جذري؛ حيث أصبحت تعني حالة فكرية سياسية تنشد التغيير الجذري والإصلاح الشامل للواقع القائم في شتى المجالات؛ الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

لكن الغرب صبغ مصطلح "الراديكالية" بمعنى آخر هو التطرف، وأضاف إليه معنى العنف والإرهاب.

• الرأسمالية:

هي نظام اقتصادي اجتماعي، يقوم على مجموعة من الركائز تمثل بالملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، والمصلحة الذاتية التي يسعى الناس من خلالها لتحقيق المصالح الخاصة بهم، والمنافسة المتمثلة في حرية الشركات في دخول الأسواق والخروج منها بما يؤدي إلى تعظيم الرفاهية الاجتماعية؛ فضلاً عن آلية السوق التي تحدد الأسعار في ظل دور محدود للحكومة يتمثل في حماية حقوق المواطنين الأفراد، والمحافظة على البيئة المنظمة التي تيسر سلامة عمل الأسواق. إن الرأسمالية هي نظام الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، وحرية الأسواق من جهة، ونظام علاقات اجتماعية استغلالية من ناحية أخرى.

• الرأي العام:

ويعرفه معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية بأنه: "وجهات النظر والشعور السائد بين جمهور معين في وقت معين إزاء موقف أو مشكلة من المشكلات".

• السيادة:

هي مفهوم قانوني سياسي، ارتبط بوجود الدولة القومية الحديثة، وأصبح أحد أهم خصائصها وسماتها الرئيسة، وهي ذات وجهين، داخلي وخارجي.

تعرف السيادة بأنها "وضع قانوني ينسب إلى الدولة عند توافقها على مقومات مادية من جموع أفراد وإقليم وهيئات منظمة وحاكمة، وهي تمثل ما للدولة من سلطات تواجه به الأفراد داخل إقليمها وتواجه به الدول الأخرى في الخارج".

كما عرفت السيادة بأنها "قدرة الدولة على ممارسة سلطاتها الداخلية والخارجية بشكل مستقل".

وُعرِّفت أيضاً أنها تعني: "عدم خضوع الدولة لأية قوة أخرى سوى قوة القانون الدولي الذي تلتزم بقواعد إرادتها الحرة، وأن الالتزام بهذه القواعد لا يعني انتهاء السيادة ولا تراجعها بقدر ما يعني الاستجابة لمقتضيات التطور والتجاوب مع المصالح المشتركة للمجتمع الدولي".

● الشرق الأوسط:

مصطلح جغرافي سياسي، استعمل للمرة الأولى في عام 1902 بواسطة "الفريد ماهان"، وشاع استخدامه في أثناء الحرب العالمية الثانية؛ للإشارة إلى الإقليم الممتد من جنوب آسيا إلى شمال إفريقية، وقد تنوّع آراء الباحثين حول تحديد الدول التي تدخل في إقليم الشرق الأوسط، وعادة ما يشار إليه بأنه يضم دول الشرق الأدنى؛ فضلاً عن الخليج العربي ومصر وتركيا وإيران، وأحياناً يشمل أفغانستان وقبرص ولبيا.

● الشفافية:

هي فلسفة ومنهاج عمل يقوم على الوضوح والعلنية والدقة والصراحة والافتتاح في النشاطات و المجالات العمل المختلفة التي تتم بين المستويات الإدارية داخل الأجهزة الحكومية المختلفة وجمهور المواطنين.

تحقيق من خلال التدفق المستمر للمعلومات ذات المصداقية العالية بين المستويات الإدارية المختلفة، وتشكل مدخلاً لمعالجة الفساد الإداري في الأجهزة الحكومية؛ وصولاً إلى مستوى متقدم من الإصلاح والتطوير الإداري.

● الشوفينية:

هي الاعتقاد المغالي في الوطنية، وتعبر عن غياب رزانة العقل والاستحكام في التحزب بجموعة يتسمى إليها الشخص والتفاي في التحييز لها، وخاصة عندما يقترب هذا الاعتقاد بالخط من شأن الجماعات النظيرية والتحامل عليها. وتفيد معنى التعصب الأعمى.

● الشيوعية:

الشيوعية هي المرحلة الأعلى للاشتراكية، وهي نظرية اجتماعية، وحركة سياسية تقوم على الإنتاج الجماعي، وشيوخ الملكية وإزالة الطبقات الاجتماعية والمساواة بين الأفراد في المجتمع الواحد، والعمل لكل الناس بحسب قدراتهم، ولكل فرد نصيب من الثروة العامة بحسب حاجاته. وبصفتها حركة سياسية، عمادها الإيديولوجي فلسفة المادة الجدلية، فهي تمثل مذهبًا فكريًا يسعى إلى تقديم المادة على كل شيء في الحياة، ويرفض التقيد بالقواعد الدينية والاجتماعية التي تنظم المجتمع.

• "العالم الروسي" : "Russkii Mir"

هو المفهوم الذي يتقاطع مع مفهوم آخر لا وهو "عالم يتبع الثقافة الروسية"، والذي يشير وفقاً لنظريه إلى المساحة التي تؤثر فيها روسيا ثقافياً ولغويًّا ودينيًّا، والذي تضطلع الكنيسة الروسية الأرثوذكسية فيه بأدوارٍ بالغة الأهمية. بمعنى أن أية دولة تتحدث اللغة الروسية كلغة دولية، وتعزز الثقافة الروسية، وتحافظ على الذاكرة التاريخية الروسية العامة، يمكنها أن تعد نفسها جزءاً لا يتجزأ من العالم الروسي.

• القانون الإنساني الدولي:

هو مجموعة من القواعد تهدف - لأسباب إنسانية - إلى الحد من آثار النزاع المسلح، فهو يحمي الأشخاص الذين لم يعودوا يشاركون في الأعمال القتالية، كما يحدد وسائل الحرب وطراقيها. لذلك فإن مجاله مقتصر من ناحية الاختصاص الموضوعي على حالات النزاع المسلح.

• القانون الدولي لحقوق الإنسان:

هو منظومة من القواعد الدولية المصممة لحماية حقوق الإنسان وتعزيزها للجميع، ويحدد التزامات الدول بالتصريف بطرق معينة أو بالإحجام عن اتخاذ إجراءات معينة، وذلك من أجل تعزيز حقوق الإنسان الأساسية وحمايتها للأفراد أو الجماعات.

• الليبرالية:

هي تقليد تعود بداياتها إلى القرن الثامن عشر، وربما قبل ذلك في عصر التنوير، إذ يرى بعض المفكرين أن ظهور الليبرالية كان نصراً للمجتمع الإنساني، فقد جاءت على أعقاب النظام الإقطاعي الذي قام على الاستبداد، والعبودية، وقهقر حرية الفرد وحقوقه. وقد شكلت الليبرالية بما فيها من منظومة قيمية جديدة أساساً للنظام الرأسمالي، إذ تركز على الحرية الفردية بشكلها الاقتصادي والسياسي. فعلى الصعيد الاقتصادي تدعو الليبرالية إلى إطلاق حرية المنافسة من كل قيد وإبعاد الدولة عن التدخل في النشاط الاقتصادي ومطالبتها فقط بحماية الأمن الداخلي وأمن البلاد الخارجي. وأآلية السوق سوف تحقق مصلحة المجتمع والأفراد. أما الجانب السياسي لل الليبرالية فيشمل مجموعة من

الحقوق الفردية، مثل حق العقيدة، والفكر، والتعبير، والمشاركة السياسية وغيرها من الحقوق الأخرى.

على الرغم من أن الليبرالية الاقتصادية كانت هي محور اهتمام الطبقات الصناعية والبرجوازية لأنها تخدم أطماعها، وتطلعاتها للحصول على الأرباح الكبيرة وتراكم في رأس المال، إلا أن الليبرالية السياسية بدأت وبشكل كبير تحظى بالاهتمام من قبل الليبراليين وخاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي.

● براغماتية (ذرائعية):

براغماتية اسم مشتق من اللفظ اليوناني "براغما" ومعناه العمل، وهي مذهب فلسفى - سياسى يعد نجاح العمل المعيار الوحيد للحقيقة، فالسياسي البراغماتي يدّعى دائمًا بأنه يتصرف ويعمل من خلال النظر إلى النتائج العملية المشمرة التي قد يؤدي إليها قراره، وهو لا يتخذ قراره بوجى من فكرة مسبقة أو سياسية محددة؛ وإنما من خلال النتيجة المتوقعة للعمل.

● ثيوقراطية:

الأصل اللغوى للمصطلح مشتق من كلمتين يونانيتين: الأولى كلمة ثيو، وتعنى "إله"، والثانى "قراط" وتعنى الحكم، وبذلك فالثيوقراطية تعنى "حكم الله"، ولكن في استعماله الشائع، فإن المصطلح يقصد به "حكم رجال الدين". ونظام الحكم الشيوقратي هو نظام الحكم الذى يعد أن الله هو السلطة السياسية العليا وأن القوانين الإلهية هي القوانين المدنية واجبة التطبيق، وأن رجال الدين بوصفهم الخبراء بتلك القوانين الإلهية، فإنه تمثل فىهم سلطة الله والتي يكون لزاماً عليهم تجسيدها من خلال فرض قوانينه السماوية وتطبيقاتها.

أول من استخدم مصطلح "ثيوقراطية" بهذا المعنى المؤرخ "جوزيفوس فلافيوس" لوصف الحكومة القائمة عند اليهود، ويأن ما يقوله الله في كتابه المقدس هو فقط مصدر الحكم.

● جماعة الضغط:

جماعة من الأشخاص تربطهم علاقات اجتماعية خاصة ذات صفة دائمة أو مؤقتة بحيث تفرض على أعضائها نطاً معيناً من السلوك الجماعي، وتحمّل هؤلاء الأفراد يقوم على أساس وجود هدف مشترك أو مصلحة مشتركة بينهم، يدافعون عنها بالوسائل المتاحة لديهم، علنية كانت أو سرية، ويسعون إلى الضغط على هيئات السلطة في الدولة؛ لكي تتخذ قرارات ترعى مصالحهم أو أهدافهم المشتركة.

● حروب "الجيل الأول":

اعتمدت على حشد القوات البشرية (*Massed Manpower*)، وقد استمرت هذه الحروب لفترات طويلة حتى بدايات القرن التاسع عشر.

● حروب "الجيل الثاني":

بدأت مع احتراز البندقية ثم المدفع وغيرها من أدوات الحرب القائمة على تكنولوجيا بسيطة، وتعتمد على استخدام القوة النارية (*Firepower*).

● حروب الجيل الثالث:

برزت في أثناء الحرب العالمية الثانية، وتقوم على فكرة المناورات العسكرية أو ما يطلق عليه الحروب الوقائية والاستباقية (*Preventive War*)

الجيل الرابع من الحروب: مثل في الحرب اللامتماثلة.

● حقوق الإنسان:

الحقوق الطبيعية لدى بني البشر كافة، بصرف النظر عن جنسيتهم أو مكان إقامتهم أو نوع جنسهم أو أصلهم القومي أو العرقي...، هي حقوق متربطة ومترابطة وغير قابلة للتجزئة، وغالباً ما ينص عليها ويكفلها القانون الذي يكون في شكل معاهدات، والقانون الدولي العرفي، والمبادئ العامة والقانون غير الملزم.

● ديماغوجية:

كلمة يونانية مشتقة من الكلمة (διηγεῖσθαι) وتعني الشعب، و(غوجية) وتعني العمل، أي "العمل الشعبي" أو "العمل من أجل الشعب". أما معناها السياسي فيعني: "مجموعة الأساليب والخطابات والمناورات والخيال السياسية التي يلجأ إليها السياسي لإغراء الشعب

أو الجماهير بوعود وشعارات كاذبة، وذلك ظاهرياً من أجل مصلحة الشعب، وعملياً من أجل الوصول إلى الحكم"، أي إن الديماغوجية تعني الخطاب الشعاراتي الذي يبالغ بالوعود مع علمه بأنها مستحيلة التتحقق.

● صدام الحضارات:

استخدم المصطلح لأول مرة من قبل برنارد لويس في عام 1990، إلا أنه لم يلق رواجاً إلا مع صموئيل هنتنغتون في المقال الذي نشره في عام 1993، وأعاد صياغة المقال وأخرجه في كتاب بعنوان "صدام الحضارات وإعادة صنع النظام الدولي"، والذي قدم فيه هنتنغتون نموذجاً لتفسير العلاقات الدولية في عالم ما بعد الحرب الباردة.

تقوم نظرية هنتنغتون على عدّ أن السياسة العالمية ستشهد طوراً جديداً من أطوار الصراع، تكون فيه الثقافة هي الباعث الرئيس، فيحل بذلك الصراع الثقافي أو الحضاري بدلاً عن الصراع الإيديولوجي والاقتصادي، ويعتقد أن الصراع بين الحضارات سيكون آخر مرحلة في سلسلة الصراعات العالمية. وقسم "هنتنغتون" الحضارات إلى ثلاثة أقسام:

أ- الحضارات المتحدية: وهي الحضارة الإسلامية والصينية.

ب- الحضارات الضعيفة: المتمثلة في الحضارة اللاتينية- الأمريكية والحضارة الإفريقية، وهي تعتمد على الغرب.

ت- الحضارات المتراجحة: وهي الروسية واليابانية والهندوسية.

ويرى أن الصراع سيكون ثنائياً الأطراف بين الحضارة الغربية من جهة، والحضارتين الإسلامية والصينية من جهة أخرى.

● غسيل الأموال:

هي تلك العملية التي يتم بمقتضاها إخفاء مصادر الأموال المتولدة عن العمليات ذات النشاط الإجرامي والأنشطة غير المشروعة، والعمل على إدخالها مرة أخرى إلى الاقتصاد المشروع من خلال سلسلة من عمليات التحويلات المالية والنقدية؛ بمدفء إخفاء المصادر الأصلية لهذه الأموال، ومن ثم إنفاقها واستثمارها في أغراض مشروعة.

● مبادرة "الحزام والطريق":

عرفت عند إطلاقها من قبل الرئيس الصيني "شي جين بينغ" في عام 2013 باسم "حزام واحد وطريق واحد"، وهي في الأساس استراتيجية تنموية ترتكز على تعزيز التواصل والتعاون بين دول آسيا وإفريقيا وأوروبا، وخصوصاً بين الصين ودول أوراسيا (آسيا وأوروبا)، من خلال استراتيجية بناء "الحزام الاقتصادي لطريق الحرير" عبر تشييد شبكات من الطرق وسكك الحديد وأنابيب النفط والغاز وخطوط الطاقة الكهربائية والإنترنت ومتعدد البنية التحتية و"طريق الحرير البحري" للقرن الحادي والعشرين الذي يعيد إحياء طرق التجارة القديمة عبر المحيط الهندي التي كانت تستغل الطريق الصيني إلى الأسواق الرومانية.

● مجلس الأمن الدولي:

يعد مجلس الأمن الإدارية التنفيذية للأمم المتحدة وأهم جهاز فيها، وهو الوكيل المسؤول وصاحب السلطة الذي ينوب عن كل الدول الأعضاء في تحمل مسؤولية حفظ السلام والأمن الدوليين، ويكون المجلس من نوعين من الأعضاء: أعضاء دائمون، وأعضاء غير دائمين.

الدول دائمة العضوية: يضم المجلس في عضويته خمس دول تتمتع ببعضوية دائمة، وهي: الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية والصين وفرنسا وبريطانيا، وهذه الدول الخمس تتمتع بما يعرف بحق الاعتراض (*Veto*) في المسائل المعروضة على المجلس، وما يتربّط عليه من عدم إمكانية صدور قرارات في المسائل التي يحدث اعتراف عليها.

الأعضاء غير الدائمين: عددهم عشر دول، تقوم الجمعية العامة للأمم المتحدة بانتخابهم بأغلبية الثلثين، ويراعى في هذا الانتخاب التوزيع الجغرافي العادل، ولا يجوز إعادة انتخاب العضو الواحد مرتين متتاليتين. وهذه الدول مؤقتة العضوية حيث يتم تغييرها كل سنة.

● مشروع "الشرق الأوسط الجديد":

كانت وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس أول من استخدم مصطلح "الشرق الأوسط الجديد"، وذلك في حزيران عام 2006، بدلاً من المصطلح القديم "الشرق

الأوسط الكبير". وكان هذا الإعلان بمثابة تأكيد لـ "خريطة الطريق العسكرية" في الشرق الأوسط بالاتفاق بين الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وإسرائيل." بما يمكنها من إعادة ترسيم خريطة الشرق الأوسط؛ وفقاً لأهدافها الجيوستراتيجية.

يهدف هذا المشروع إلى خلق حالة من عدم الاستقرار والفوضى تتدفق من لبنان وفلسطين وسوريا إلى العراق والخليج وإيران، وحتى أفغانستان.

● مشروع الشرق الأوسط الكبير:

هو مصطلح سياسي أطلقته إدارة بوش الابن في عام 2004، وحدد المشروع أهدافه الثلاثة والتي تتلخص في تشجيع الديمقراطية، وبناء مجتمع معرفي، وتوسيع الفرص الاقتصادية، كما يحدد كذلك أدواته الالازمة لتحقيق هذه الأهداف، وهي تعزيز التدريب والمساعدة الفنية ودعم التعليم والمنح وتدريب الخبراء والمساعدة المادية، ويقترح المشروع إنشاء عدة هيئات مختلفة لتحقيق أغراضه، ومعهد لتدريب السيدات ومبادرة الانتخابات الحرة للتربيبة المدنية ووسائل إعلام مستقلة، وإنشاء بنك تنمية الشرق الأوسط، ومنبر الفرص الاقتصادية.

رفضت الدول العربية مشروع "الشرق الأوسط الكبير" لاعتبارات عديدة، من بينها أن حجر الزاوية في هذا المشروع يتمثل في تجاهل هوية هذه المنطقة العربية وخصائصها الثقافية، ويضم إليها أطراضاً من أعراق وثقافات متعددة. ومن ناحية أخرى فإن "إسرائيل" حاضرة وبقوة في هذا المشروع، فهو يهدف إلى دمجهما في المنطقة وعدهما جزءاً لا يتجزأ من جغرافيتها وتاريخها.

● نظرية الفوضى البناءة أو الفوضى الخلاقة:

تبنت وزارة الخارجية الأمريكية السابقة، كونديلايزا رايس، مفهوم "الفوضى الخلاقة"، وأوضحت لصحيفة "واشنطن بوست" عام 2005 كيفية انتقال الدول العربية والإسلامية من الدكتاتورية إلى الديمقراطية معلنة أن الولايات المتحدة الأمريكية ستلجأ إلى نشر الفوضى الخلاقة في الشرق الأوسط؛ بهدف إشاعة الديمقراطية. في حين يتمثل هدف هذه النظرية بإعادة رسم الخريطة الجغرافية والسياسية في منطقة الشرق الأوسط ككل، وبما يتناسب مع المصالح الأمريكية.